

حَفِيقَةُ الْجَنِّ  
فِي ظِلِّ الْقُرْآنِ  
لِلشَّهِيدِ سَيِّدِ قُطْبٍ

أَعَدَّهُ وَخَرَّجَ أَحَادِيثَهُ وَقَدَّمَ لَهُ  
مُحَمَّدُ فَاسَّةُ عَبْدِ الْمُنْعِمِ الطَّيْبِيُّ

دار الفضيحة

# دَارُ الْفَضِيلَةِ

لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ وَالتَّصْدِيرِ

الإدارة، القاهرة - ٩٣ شارع محمد يوسف القاضي  
كلية البنات - مصر الجديدة - ت ٦٦٢٢٤٤  
المكتبة، ٧ شارع الجمهورية - طبلين - القاهرة - ت ٢٩٠٩٢٣١  
الإمارات، دبي - ميرة - شرب ١٥٧٦٥ ت ٦٩٤٩٦٨ فاكس ٦٤١٢٧٦

جميع الحقوق محفوظة للنَّاشِر





## الفتحة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا  
وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ،  
وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ..

وبعد :

إنّ هذا الكتاب الذي بين أيدينا من خيرة الكتب التي تناولت الجن وبيان  
مؤمنهم وكافرهم واتصالهم بالإنسان وتلبسهم به وطريقة الخلاص من  
صرعهم ومسهم وبيان ما ينجي من شرورهم وهذا الكتاب من ثقب  
الشهيد/ سيد قطب رحمه الله ..

أما صلي في الكتاب :

فقد قمت باستقصاء كل ما كتبه سيد قطب رحمه الله في الظلال عن  
الجن وطرق التحصن من شرورهم ، كما قمت بتبويب الكتاب ليسهل على  
القارئ بيان ما تحمله فقراته .. كما خرّجت الأحاديث التي ساقها سيد  
قطب رحمه الله مستشهداً بها في كتابه وبيّنت صحتها .

بسم الله الرحمن الرحيم

## تذکرہ

الحمد للہ العزیز الہی و الصلوٰۃ والسلام علی من لا نبی بعدہ  
 و علی آلہٖ الطیبین و سلم  
 و علی من تبعہم باحسان

بسم اللہ

الحمد للہ العزیز الہی و الصلوٰۃ والسلام علی من لا نبی بعدہ  
 و علی آلہٖ الطیبین و سلم  
 و علی من تبعہم باحسان

بسم اللہ

الحمد للہ العزیز الہی و الصلوٰۃ والسلام علی من لا نبی بعدہ  
 و علی آلہٖ الطیبین و سلم  
 و علی من تبعہم باحسان

بسم اللہ

## نبذة من حياة سيد قطب رحمه الله

هو سيد بن قطب بن إبراهيم ، ولد سنة ١٣٢٤ هـ ١٩٠٦ م وتوفي سنة ١٣٨٧ هـ ١٩٦٦ م : مفكر إسلامي مصري ، من مواليد قرية « موشا » في أسيوط ، تخرج في كلية دار العلوم بالقاهرة سنة ١٣٥٣ هـ ١٩٣٤ م وعمل في جريدة الأهرام ، وكتب في مجلتي « الرسالة » و« الثقافة » وعُيِّن مُدَرِّساً للعربية ، فموظفاً في ديوان وزارة المعارف ، ثم مراقباً فنياً للوزارة ، وأوفد في بعثة لدراسة « برامج التعليم » في أمريكا ١٩٤٨ - ١٩٥١ ولما عاد انتقد البرامج المصرية وكان يراها من وضع الإنجليز ، وطالب ببرامج تمشي والفكرة الإسلامية ، وبنى على هذا استقالته ١٩٥٣ م - العام الثاني للثورة ، وانضم إلى الإخوان المسلمين ، فترأس قسم نشر تحرير جريدتهم ١٩٥٣ م - ١٩٥٤ م وسُجِنَ معهم ، فعكف على تأليف الكتب ونشرها وهو في سجنه ، إلى أن صدر الأمر بإعدامه ، فأعدم ، قال خالد محيي الدين - أحد أقطاب الثورة المصرية - فيما كتب عنه : كان سيد قطب قبل الثورة من أكثر المفكرين الإسلاميين وضوحاً ، ومن العجيب أنه انقلب - بعد قيام الثورة - ناقماً متمرداً على كل ما يحدث حوله ، لا يراه إلا جاهلية مظلمة .

وكتبه كثيرة مطبوعة متداولة ، منها : « النقد الأدبي أصوله ومنهاجه » و« العدالة الاجتماعية في الإسلام » و« التصوير الفني في القرآن » و« مشاهد القيامة في القرآن » و« كتب وشخصيات » و« أشواك » و« الإسلام ومشكلات الحضارة » و« السلام العالمي والإسلام » و« المستقبل لهذا الدين » و« في ظلال القرآن » و« معالم في الطريق » ... إلخ .

ولما وصل خبر استشهاده إلى المغرب أقيمت على روحه صلاة الغائب وأصدر أبو بكر القادري عدداً خاصاً به من مجلة « الإيمان » ولما كانت النكسة - أو النكبة - عام ١٩٦٧ م قال علاء الفاسي : ما كان الله لينصر حرباً يقودها قاتل سيد قطب .

وكتب إبراهيم بن عبد الرحمن المليهي - من طلاب كلية الشريعة في  
الرياض - مجلداً سماه : « سيد قطب وتراثه الأدبي والفكري » .  
رحم الله الشهيد وأسكنه فسيح جناته وآخر دعوانا أن الحمد لله رب  
العالمين .،

★□★□★□★□★



## حقيقة وجود الجن في التصور الإسلامي

هذه الحقائق تتلخص في أن هنالك خلقاً اسمه الجن ، مخلوق من النار ، لقول إبليس في الحديث عن آدم : ﴿أنا خير منه خلقتني من نارٍ وخلقته من طين﴾<sup>(١)</sup> وإبليس من الجن لقول الله تعالى : ﴿إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾<sup>(٢)</sup> فأصله من أصل الجن .

وأن هذا الخلق له خصائص غير خصائص البشر ، منها خلقته من نار ، ومنها أنه يرى الناس ولا يراه الناس ، لقوله تعالى عن إبليس - وهو من الجن - : ﴿إنه يراكم هو وقيله من حيث لا ترونهم﴾<sup>(٣)</sup>.

وأن له تجمعات معينة تشبه تجمعات البشر في قبائل وأجناس ، للقول السابق : ﴿إنه يراكم هو وقيله ...﴾ .

وأن له قدرة على الحياة في هذا الكوكب الأرضي - لا ندرى أين - لقوله تعالى لآدم وإبليس معاً : ﴿اميطوا بعضكم لعبعدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾<sup>(٤)</sup>.

والجن الذين سُخِّرُوا لسليمان عليه السلام كانوا يقومون له بأعمال في الأرض تقتضي أن يكونوا مزودين بالقدرة على الحياة فيها .

وأن له قدرة كذلك على الحياة خارج هذا الكوكب لقول الله تعالى حكاية عن الجن : ﴿وأنا لمنت السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً﴾ وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً<sup>(٥)</sup>.

وأنه يملك التأثير في إدراك البشر وهو مأذون في ترجيه الضالين منهم - غير عباد الله - للنصوص السابقة ، ولقوله تعالى في حكاية حوار إبليس اللعين : ﴿قال فبعتك لأغوينهم أجمعين﴾ إلا عبادك منهم المخلصين<sup>(٦)</sup>.

وغير هذا من النصوص المماثلة ، ولكننا لا نعرف كيف يوسوس ويوجه وبأي أداة .

(٣) الأعراف : ٢٧ .

(٦) ص : ٨٢ - ٨٣ .

(٢) الكهف : ٥٠ .

(٥) الجن : ٨ - ٩ .

(١) الأعراف : ١٢ .

(٤) البقرة : ٢٦ .

وأنه يستطيع أن يسمع صوت الإنسان ويفهم لغته ، بدلالة استماع نفر من الجن للقرآن وفهمه والتأثر به .

وأنه قابل للهدى وللضلال بدلالة قول هذا النفر في سورة الجن : ﴿ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَ الْقَاسِطِينَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ۖ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۝١١٠﴾ ، وبديل ذهابهم إلى قومهم من الذين يدعونهم إلى الإيمان ، بعدما وجدوه في نفوسهم ، وعلموا أن قومهم لم يجدوه بعد .

وهذا هو القدر المستيقن في أمر الجن ، وهو حسنا ، بلا زيادة عليه ليس عليها من دليل .

## عبادة مشركى العرب للجن

قال تعالى :

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنِّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَفُوا لَهُ بُنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ۝١١٠﴾ يَدْبِعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ إِنَّهُ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝١١١﴾

لقد كان بعض مشركى العرب يعبدون الجن .. وهم لا يعرفون من هم الجن ؟ ولكنها أوهام الوثنية ! والنفس متى انحرفت عن التوحيد المطلق قيَّدت شير انساق في انحرافها إلى أى مدى ، وانفرجت المسافة بينها وبين نقطة الانحراف التى بدأت صغيرة لا تكاد تلاحظ ! وهؤلاء المشركون كانوا على دين إسماعيل .. دين التوحيد الذى جاء به إبراهيم عليه السلام فى هذه المنطقة .. ولكنهم انحرفوا عن هذا التوحيد .. ولا بد أن يكون الانحراف قد بدأ يسيراً .. ثم انتهى إلى مثل هذا الانحراف الشنيع .. الذى يبلغ أن يجعل الجن شركاء لله .. وهم من خلفه سبحانه :

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ﴾ ١

ولقد عرفت الوثنيات المتعددة في الخاطيات المنوعة أن هناك كائنات شريرة - شبه فكرة الشياطين - وحاموا هذه الكائنات - سوء كالب أروحا شريرة أو دوات شريرة - وقَدَّمُوا لها انقرايين اتقاء لشرها ، ثم عبدوها !  
ولوثة العربية واحدة من هذه الوثنيات التي وجدت فيها هذه التصورات الفاسدة ، في صورة عبادة نجى ، واتحادهم شركاء لله سبحانه ..  
والسياق القرآني يواجههم بسحق هذا الاعتقاد ، يواجههم بكلمة واحدة : ﴿ وَخَلَقَهُمْ ﴾ ..

وهي لفظة واحدة ، ولكنها تكفي لسخرية من هذا النصور ! فإذا كان الله سبحانه هو الذى خلقهم فكيف يكرهون شركاء له في الألوهية والربوبية ؟  
ولم تكن تلك وحدها دعواهم ، فأوهم الوثنية متى انطلقت لا تنفعد حد من الاعراف ، بل كانوا يعمون له سبحانه بين ويات : ﴿ وَحَرِّقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ .

وَحَرِّقُوا أَي . احترقوا . وفي لفظها حرس خاص وظل خاص ، يرسم مشهد الطوع بالعربة التي تحرق وتشتق !

حرقوا له بين : عبد اليهود - عرير ، وعبد النصارى المسيح ، وحرقوا له بنات ، عبد المشركين : الملائكة وقد رعمو أنهم إناث ولا يلري أحد طبعاً لمدا هم إناث ! فالادعاءات كلها لا تقوم على أساس من علم نكله ﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ .

﴿ سُبْحَانَ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ ١

ثم يواجه فريتهم هذه وتصوراتهم باحقيقة الإلهية ، ويناقشهم في هذه التصورات بما يكشف عما فيها من ههنة :

﴿ يَدْبِعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنِّي يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ

وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَرْجَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١)

إن الذي يدع هذا الوجود إبداعاً من العدم ما تكون حاجته إلى الخلق ؟ والخلف إما هو امتداد العاين وعون الصمد ، ولده من لا يدعون !

ثم هم يعرفون قاعدة التكاثف أن يكون للكائن صاحبة ، أشئ من جسمه فكيف يكون لله ولد وليس له صاحبة وهو سبحانه ورد أحد ، ليس كمثله شئ ، فأى يكون السلسل بلا تراوح ؟  
وهي حقيقة ، ولكنها تواحه مستواهم التصورى ، وخاطبهم بالأمثلة المبرية من حياتهم ومتفهماتهم ويتكى السباق في مواضعهم على حقيقة الخلق ، نعى كل من لشرك ، فخلوق لا يكون أبدأ شريكاً لحائق ، وحقيقة الخالق غير حقيقة المخلوق كما يو جههم بعدم الله سطلو الذى لا تقابله منهم إلا أوهم وظنون : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ .  
﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

وكما واجههم السيف القرى بحقيقة أن الله حل كل شئ ، لرتب عليهم نهايت قصوراتهم بأن لله سبحانه سب وباب ، أو أن له شركاء اخر وهو خلقهم فيه ينكى على هذه الحقيقة مرة أخرى ، لتقرير أن السى يعبد ويخص به ويصاح ، ويعرف به باديونه وحده هو حائق كل شئ فلا إله إدا غيره ، ولا رب إدا سواه :

﴿ دَلِكُمْ أَنَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ حَاقٌّ كُلَّ شَيْءٍ  
فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (١)

## أسطورة الصلة بين الله وبين الجن

قال تعالى :

﴿ فَأَسْتَفْتِيهِمُ الرِّبَّكَ النَّاسُ

وَلَهُمُ السُّوَرُ ﴿١٧٩﴾ أَمْ خَشِيَ الْمَلَكُةَ إِنْسَاوَهُمْ

شَهِدُوا ۖ ﴿١٥﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ أَفْكِهِمْ لَيَقُولُوا ۖ ﴿١٦﴾ وَلَدَّ  
 اللَّهُ وَلَهُمْ لَكُذِبُونَ ۖ ﴿١٧﴾ أَصْطَفَى الْبَيْتَ عَلَى الْبَيْتِ ۖ ﴿١٨﴾  
 مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۖ ﴿١٩﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۖ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَكُمْ سُنُطْرٌ مُّبِينٌ  
 ۖ ﴿٢١﴾ فَأَنُؤَايِكُنِيكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۖ ﴿٢٢﴾ وَحَمَلُوا سِمَةً مِنَّ الْجِنَّةِ  
 نَسَبًا ۖ وَلَقَدْ عَهِتِ الْإِنسَانُ لِمُحْضَرِّوهُ ۖ ﴿٢٣﴾ سَخِرَ لِلَّهِ عَمَّا  
 يَصِفُونَ ۖ ﴿٢٤﴾

يوجه الله سبحانه وتعالى في هذه أسطورة الأخير من السورة الرسول  
 ( صلى الله عليه وسلم ) أن يناقش معهم ثلاث الأسطورة التي يرفعون فيها  
 أن ملائكة باب الله ، والأسطورة الأخرى التي يرفعون فيها أن بيته سبحانه  
 وبين الجنة سبأ ، وأن يواجههم بما كانوا يقولونه قبل أن تأتيهم هذه الرسالة  
 من ربهم أن يرسل الله فيهم رسولا ، ومن أنهم على استعداد لمهدي نوحيهم  
 رسول ، وكيف كفروا عندما جاءهم الرسول وتوحيهم السورة بنسخين وعد  
 الله لرسله أنهم هم العدلون ، وتبريه الله سبحانه عما يصفون ، وتوجه بالحمد  
 لله رب العالمين

إنه يحصر أسطورتهم في كل مسأله ، ويواجههم بمطقتهم ومطلق بنسبهم  
 التي يعيشون فيها ، وهم كانوا يؤثرون البين على البات ، ويعدون ولادة الأشي  
 حجة ، ويعدون الأشي محبوبة أقل بية من الذك ، ثم هم الذين يدعون أن  
 الملائكة إناث ، وأنهم بات الله !

فهو هو يستعبد معهم وفي منطقهم ، ويأخذهم به يرو مدى مهابة  
 الأسطورة وسحقها حتى تقايسهم لشائعة .

﴿ فاستفتهم أليذك البات ولهم البتوت ﴾ ؟

أند كان الإناث أقل رتبة كما يدعون ، حملوا لهم البات و ستأثروا هم  
 بسبب ؟ أو عمار الله البات وبرك لهم البين ؟ إن هذا أو ذاك لا يستقيم !

فاسألهم عن هذا الزعم المتهاافت السقيم .

واستمعتم كذلك عن منشأ الأسطورة كدها ، من أين جاءهم علم أن الملائكة إناث ؟ وهل هم شهداء خلقهم فعرفوا حسهم ؟

﴿ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴾ ؟

ويستعرض نص مقولتهم المفتراة الكاذبة على الله

﴿ أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِبْكَهْم لَيَقُولُونَ • وَلَئِنَّ اللَّهَ وَآلَهُمْ لَكَادِبُونَ ﴾ .

وهم كاذبون حتى يحكم عرفهم الشائع ومطعمهم الحاري في اصطفاء

البين على البات ، فكيف اصطفى الله البات على البين ؟

﴿ أَصْطَفَى الْبَآتِ عَلَى الْبَيْنِ ﴾ !

ويعجب من حكمهم الذي يسون فيه مطعمهم الحاري :

﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ • أَقَلَّا لَذَكُّرُونَ ﴾ .

ومن أين تستمدون السند والدليل على الحكم المزعوم ؟

﴿ أَمْ لَكُمْ مُلْطَآنٌ مَبِينٌ • فَأَثَرًا بِكُتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾

والأسطورة لأخرى ، أسطورة نصبة بيه سبحانه وبين الجنة .

﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا وَلَقَدْ عَظَمْنَا الْجَنَّةَ إِنَّهُمْ لَا يُعْهَدُونَ ﴾ .

وكانوا يرعمون أن الملائكة هم بآت الله برعمهم ولستهم له الجنة أو دلث

هو السبب والتقربة ! وأحسن تعلم أنها خلق من خلق الله ، وأنها محصورة يوم

القيامة بؤدد لله ، وما هكذا تكون معاملة السبب والصهر !

وهو يره ذاته سبحانه عن هذا الإفك المتهاافت

﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾

## شياطين الإنس والجن

قال تعالى

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ بَنِي عَادُوًّا

شَيْطَانِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ

أَقُولُ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٠﴾

﴿ وكذلك ﴾ كاذبى قدرناه من أن نملك المشركين الذين يُعْتَفُونَ  
بإيمانهم بمجىء الخوارق ، ويُقرضون عن دلائل الهدى وموحياته في الكون  
والنفس ، لا يقع منهم الإيمان ولو جاءهم كل آية .

كاذبى قدرناه في شأن هؤلاء ، قدرنا أن يكره لكل نبي عدو ، هم  
شياطين الإنس والجن ، وقدرنا أن يوحى بعضهم إلى بعض بحرف القلوب  
ليجدهوهم به ويعرّوهم حرب الرسل وحرب الهدى ، وقدرنا أن نصعق إلى  
هدى الحرف أئمة الدين لا يؤمنون بالأحرى ، ويرصوه ، ويقتربوا ما يعرفونه  
من العداوة برسول وللحق ، ومن اتصال والفساد في الأرض

كل ذلك بعد جرى بقدر الله ، وفق مشيئته ، ولو شاء ربك ما فعلوه ،  
ومضت مشيئته بعد هذا كله ، ولجّرى قدره بعد هذا الهدى كان ، فليس شيء  
من هذا كله بمصادفة ، وبشيء من هذا كله بسخط من مبشر كذلك  
أو قدرة !

بعد نقرر أن هذا الهدى يجرى في الأرض من معركة البشعة التي لا تهدأ  
بين الرسل والحق الذي معهم ، وبين شياطين الإنس والجن وباطنهم وحرهم  
وعرورهم .. إذا نقرر أن هذا الهدى يجرى في الأرض إنما يجرى بمشيئة الله  
ويتحقق بقدر الله ، فإن أسلم يبعث أن يتجه إحدى إلى تدبير حكمة الله من  
وإاء ما يجرى في الأرض ، بعد أن يترك طبيعته هذا الهدى يجرى والقدرة التي  
وراءه ..

﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يُوحى بعضهم  
إلى بعض زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً .. ﴾

بعد ذلك وتقديرنا ، جعلنا لكل نبي عدواً هذا العدو هو شياطين الإنس  
والجن ولشيطنة وهي التمرد والعوية والتمحص لنشر صغته تلحق الإنس كما  
تلحق الجن ، وكما أن الهدى يسمرد من الجن وينمحص لنشر ولعوية يسمى  
شيطاناً ، فكذلك الهدى يسمرد من الإنس وينمحص لنشر والعوية وهذا

يوصف هذه الصفة لحيوان أيضاً إله شرس ومرد وستشترى أذه<sup>١</sup>  
وقد ورد : « الكلب الأسود شيطان »<sup>(٢)</sup>

هؤلاء الشياطين من الإنس وخص الدين قدر الله أن يكونوا عدواً لكل  
شيء ، يمدح بعضهم بعضاً بالصور المخرقة ، ندى يوحيه بعضهم إلى بعض  
ومن معنى الوحي أن تأثير الداحل الذي يتغل به ، الأثر من كائن إلى كائن آخر  
ويعر بعضهم بعضاً ، ويحرص بعضهم بعضاً على التمرد وعباياه ولشتر  
ولعصية .

وشبطين الإنس أمرهم معروف ومشهود بما في هذه الأرض ، وعادتهم  
وعادج عدائهم لكل شيء ، ولحق لدى معه ، وللمؤمنين به ، معروفة بحث  
أن يراها الناس في كل زمان .

فأما شياطين الجن - والجن كله - فهم غيب من غيب الله ، لا يعرف  
عه إلا ما يجربها به من عنده مفاعيل لغير لا يعلمها إلا هو ومن ناحية  
مبدأ وجود حلائق أخرى في هذا الكون غير إنسان وغير الأنواع والأجسام  
المعروفة في الأرض من الأحياء بقول من ناحيته ابتداءً بحس نؤمن بكون  
الله عنها ، وبصدق خبره في الحدود التي قررهم ، فما أولئك الذين ينترسون  
« باسم » سكرهم ما يقرره الله في هذا الشأن ، فلا يدري علام يرتكوب ؟  
إب علمهم الشئ لا يرغم أنه أحاط بكل أحسن الأحياء ، في هذا الكوكب  
الأرضي كما أن علمهم هذا لا « يعلم » ما في الأجرام الأخرى<sup>١</sup> وكل  
ما يمكن أن « يفترسه » أن نوع حياته موجود في الأرض يمكن أو لا يمكن  
أن يوجد في بعض لكوكب والسحرم وهذا لا يمكن أن يعني - حتى لو  
تأكدت الفروض أن أنواعاً أخرى من الحياة وأحساناً أخرى من الأحياء  
يمكن أن يعثر حواس أخرى في الكون لا يعلم هذه « العلم » عنها شيئاً !  
فمن استحکم واليسحج أن يعني أحد باسم « العلم » وجود هذه العوالم الحية  
الأخرى .

(١) أخرجه مسلم ( الصلاة ) ب ٥ رقم ٢٦٥ ، والنسائي ( القبلة ) ب ٧ وأبو داود ( الصلاة )  
ب ١١٠ ، والترمذي ( ٣٣٨ ) وابن ماجه ( ٩٥٢ ) ، وأحمد ١٤٩٥ و ١٥١ و ١٥٦ و ١٦٠ ،  
والبيهقي ٢٧٤٢ وابن خزيمة ٨٣٠ ، و ( ٨٣١ ) وأبو عوانه ٤٧٢ ، والكثير ( ١٩٢١٤ ) ،  
و ( ١٩٢٣٦ ) و ( ١٩٢٣٧ ) و ( ١٩٢٣٨ ) ، والقرطبي ٦٧٦ ، و ابن أبي شيبة ٢٨١ ، وابن  
صاكر ٧٨/٣ ، وابن عدي ٣٩٢١ و ٢٣٥٦/٦



وأما من ناحية طبيعة هذا الخلق المسمى بالجن ، والذي يشيطن بعضه ويتمحص للشر والعوايه - كإبليس ودريته كما يشيطن بعض الإنس من ناحية طسعة هذا الخلق المسمى بالجن ، نحن لا نعلم عنه إلا ما جاءنا الخير الصادق به عن الله سبحانه وعن رسول الله ﷺ ،

و نحن نعرف أن هذا الخلق محبوق من مارج من بار ، وأنه مرود بالقدره على الخياء في لأ ص وفي باطن الأرض وفي حارج الأرض أيضاً ، وأنه يملث حركه في هذه المحلات بأسرع مما يملث البشر ، وأن منه الصالحين المؤمنين ، ومنه الشياطين الممردين ، وأنه يرى سبي دم وبو دم لا يرويه في هيئته الأصلية ، وكم من حلائق يرى لإنسان ولا يراها الإنسان ! وأن الشياطين منه مصلصون على سبي الإنسان يعورهم ويصومهم ، وهم قادرون على الوسوسة هم والإيحاء بطريقة لا تعلمها ، وأن هؤلاء الشياطين لا يستطيعون هم على المؤمنين به كريس ، وأن الشيطان مع المؤمنين إذا ذكر الله حس وورى وإذا عفن برر هوسوس له ! وأن المؤمنين أقوى بالذكر من كيد الشيطان الضعيف ، وأن عالم الجن يحشر مع عالم الإنس ، ويحاسب ، ويحدرى ناحية وباسار كالجنس الإنساني ، وأن الجن حين يعاسون إلى الملائكة يبدون خلقاً صغيراً لا حول له ولا قوة !

في هذه الآية نعرف أن الله سبحانه قد جعل لكل سبي عدو شياطين الإنس والجن

ولقد كان الله سبحانه قادراً لو شاء ألا يصعوا شيئاً من هذا .. ألا يتمردوا ، ولا يمحصوا للشر ، وألا يعادوا الأنبياء ، وألا يؤدوا المؤمنين ، وألا يصلوا بأس عن سبيل الله ، كما أن الله سبحانه قادر أن يقهرهم قهراً على الهدى ، أو أن يهديهم بوجهو سهدى ، أو أن يحصرهم عن التصدى للأنبياء وحق والمؤمنين . ولكنه سبحانه تركهم هذا القدر من الاختيار ، وأدب لهم أن تمتد أيديهم بالأذى لأولياء الله - بالمدر الذي تعصى به مشيئته ويحوى به قسره - وقدر أن يتلى أولياءه بأذى أعدائه ، كما يتلى أعداءه بهذا القدر من الاختيار ، وتقدره مدى أعصاهم إياه ، هذا يملث هؤلاء أن يوقعوا بأولياء الله من الأذى إلا ما قدر الله : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾

فما الذى يخلص لنا من هذه التقريرات ؟

**يخلص لنا ابتداء** أن الذين يفعلون بدعوة بكل مبي ، ويقفون بالأذى لأتباع الأنبياء هم شياطين ، شياطين من الإيس ومن الجن ، وأهم يؤذون جميعاً شياطين الإيس والجن وطبيعة واحدة ، وأن بعضهم يخدع بعضاً وبصده كذلك مع قيامهم جميعاً بوظيفة التمرد والمعوية وعداء أنبياء الله

**ويخلص لنا ثانياً** أن هؤلاء للشياطين لا يفعلون شيئاً من هذا كله ، ولا يقدر أن يفتروا على شيء من عداء الأنبياء وإيذاء أتباعهم بقدرته ذاتية عليهم ، إنما هم في قصة الله ، وهو يبتليهم أولياءه لأمر يريد من تمحيص هؤلاء الأنبياء ، وتطهير قلوبهم ، وامتحان صبرهم على حق لى هم عليه أمراء ، فإذا اجتازوا الامتحان بقوة كفى الله عنهم الابتلاء ، وكفى عنهم هؤلاء الأعداء وعجز هؤلاء الأعداء أن يمدوا إليهم أيديهم بالأذى وراء ما قدر الله ، وبأعداء الله بالصعف والخذلان ، وبأورارهم كامنة يحملون على ظهورهم

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾

**ويخلص لنا ثالثاً** . أن حكمة الله الخالصة هي التي اقتضت أن يترك للشياطين إيس والجن أن يشيطنوا فهو إنما يسلمهم في القدر لى تركه هم من الاختيار والقدره . وأن يدعهم يؤذون أنبياءه فترة من الزمان فهو إنما يبتلي أوليائه كذلك ليظهر بصبرهم ؟ فيشوب على ما معهم من حق بما أبطل يتضح عليهم ويستطيع ؟ فيمنعون من حفظ أنفسهم في أنفسهم ويبيعونها بيمة واحدة لله ، على السرء وعلى الصرء سواء ، وفي شغل وانكساره سواء ؟ وإلا فقد كان الله قادراً على ألا يكون شيء من هذا الذى كان !

**ويخلص لنا رابعاً** هو الشياطين من الإيس والجن ، وهوان كيدهم وأداهم ، مما يستطيعون بقوة ذاتية هم ، وما يمكن أن يجاوزوا ما أذن الله به على أيديهم ، وانفوس الذين يسمون به هو الذى يقدر ، وهو الذى يأتى ، حليق أن يستهين بأعدائه من الشياطين ، مهما سمع قوتهم الطهارة وسلطانهم مدعى ، ومن هنا هذا التوجيه العوى لرسول الله الكريم .

﴿ فادرهم وما يفترون ﴾

دعهم واحترأهم ، فأنا من وراءهم قادر على أخذهم ، مدحرهم جزاءهم

وهناك حكمة أخرى غير ابتلاء الشياطين ، وابتلاء المؤمنين ، نقد قادر الله أن يكون هذا العداء ، وأن يكون هذا الإيحاء ، وأن يكون هذا الضرر بانقول والخداع - لحكمة أخرى .

﴿ وَلِيُصَعِّيَ إِلَيْهِ أَقْعَدَهُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ  
وَلِيَرْصُوهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴾<sup>(١)</sup>

أى تستمع إن ذلك الخداع والإيحاء قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة هؤلاء يحصرون همهم كله في الدنيا ، وهم يرون الشياطين في هذه الدنيا يقومون بالرصد لكل شئ ، ويأتون بالأذى أتدع كل شئ ، ويرين بعضهم لبعض القول والفعل ، فيحصعون للشياطين ، معجبين برحرفهم الباطل ، معجبين بسلفهم الخداع ، ثم يكسبون ما يكسبون من الإثم والشر والمعصية والفساد ، في ظل ذلك الإيحاء ، وبسبب هذا الإصغاء .

وهذا أمر أراد الله كذلك وحرى به قدره ، لما وراءه من التمحيص والتجربة ، وقد فيه من إعطاء كل أحد فرصه ليعمل ما هو ميسر له ، ويستحق جزاءه بالعدل والقسطاس .

ثم تتصلح الحياة بالدفع ، وبمير حق بالمفاصلة ، ويتمحص الخير بالصبر ، ويحمل للشيطان أورارهم كاملة يوم القيامة ، ويجرى الأمر كنه وفق مشيئة الله ، أمر أعدائه ، وأمر أوبيائه على السواء ، إنها مشيئة الله ، والله يفعل ما يشاء .

والمشهد الذي يرسمه القرآن لكرم المعركة بين شياطين الإنس والجن من ناحية ، وكل شئ وأتباعه من ناحية أخرى ، ومشية الله العظيمة وقدره النافذ من ناحية ثالثة ؛ هذا المشهد بكل جوانبه جدير بأن نقف أمامه وقفة قصيرة :

إنها معركة تتجمع فيها قوى الشر في هذا الكون ؛ شياطين الإيس ، وأخرى تتجمع في تعاون وتناسق لإمضاء حطة مُقررة ؛ هي عداء الحق المتمثل في رسالات الأنبياء وحربه ، حطة مفررة فيها وسائلها ﴿ يُوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ﴾ يد بعضهم بعضاً بوسائل خداع والعموية ، وفي لوقت ذاته يعوى بعضهم بعضاً ؛ وهي ظهيرة مدحوظة في كل تجمع بشر في حرب الحق وأهله . إن الشياطين يتعاونون فيما بينهم ، ويعين بعضهم بعضاً على الضلال أيضاً ؛ بهم لا يهتدون بعضهم البعض إلى حق أبداً ، ولكن يرين بعضهم لبعض عداء الحق وحربه ونصبي في معركة معه طويلاً !

ولكن هذا الكيد كله ليس طبيعياً . إنه يحاط به بمشيئة الله وقدره - لا يقدر الشياطين على شيء منه إلا بالقدر الذي يشاء الله ويقدره بقدره ، ومن هذا يبدو هذا الكيد - على صحامته وتجمع قوى الشر العالمية كلها عليه - مفيداً معلوماً ؛ إنه لا يبطئ كما يسه ولا قيد ولا صابط ، ولا يصيب من يشاء بلا معقب ولا مرجع - كما يحب لطفه أن يلقو في روع من يعبدونهم من بشر . يعنقون قنوسهم بمشيئتهم ووردهم كلا ؛ إن إرادتهم مفيدة بمشيئة الله ، وقدرتهم محدودة بقدر الله ، وما يصرون أولياء الله شيء إلا بما رآه الله - في حدود الاتلاء - ومرد الأمر كله إلى الله

ومشهد التجمع على حطة مفررة من الشياطين حدير بأن يسترعى وعلى أصحاب الحق يعرفون طبيعته لحظه ووسائلها ، ومشهد إحاطة مشيئة الله وقدره بحظه الشياطين وتديرهم حدير كذلك بأن يملأ قلوب أصحاب الحق بالثقة والطمأنينة واليقين ، وأن يعنق قنوسهم وبصارهم بالقدره تقهره والقدر لئله ، وبالسيطرة الحق الأصيل في هذه الوجود ، وأن يطلق وجدانهم من التعصب بما يريد أو لا يريد الشياطين ؛ وأن يعضو في طريقهم يسوب الحق في وقع الحق ، بعد بئانه في قنوسهم هم وفي حياتهم ، أما عدوه الشياطين ، وكيد الشياطين ، فليدعوها للمشيئة محيطه والقدر السائد

﴿ ولو شاء ربك ما فعلوه لذرهم وما يفترون ﴾

## استمتاع الجن بالإنس والإنس بالجن

قال تعالى

﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا  
يَمْعَشَرُ الْجِنُّ قَدِ اسْتَكْتَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاءُ هُمْ  
مِنَ الْإِنْسِ رَبِّتَ اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلًا الَّذِي  
أَجَّلْتُمْ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوًى لَكُمْ فَحِيلَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ  
رَبَّكَ حَكِيمٌ عَبِيدٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَلِكَ نُؤَيِّنُ بَعْضَ الْأَطْلَاجِينَ بَعْضًا  
بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾

بعد أن عرّض شياطين الإنس والجن ، الذين قصو الحياة بوحى بعضهم  
بعض بحرف القلوب عرورا وحدا ، وإصلا ، ويقف بعضهم بمسدة  
بعض عدوا نكل مكي ، ويوحى بعضهم إلى بعض ببحادلوا ، يؤمنون في ما شرع  
الله لهم من الحلال والحرام ، يعرضهم في مشهد شاخص حي ، حاضر باخوار  
والاعتراف والتأنيب والحكم والتعقيب ، فائض بالحياة التي تدحر بها مشاهد  
القيامة في القرآن ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ﴾ .

في المشهد يبدأ معروضا في السفل ، يوم يحشرهم جميعا ولكنه  
يستعمل واقعا للسمع يترأى به مواجهة ، ودث حذف لفظة وحده في  
العبارة ، فتقدير الكلام ، ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ﴾ فيصور ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ  
قَدْ اسْتَكْتَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ ﴾ ولكن حذف كلمة - يقول - ينتقل بالتعبير المصور  
هذه بعيدة ، ويحيل السياق من مستقل يُنظر إلى واقع يُنظر ! ودث من حصائص  
التصوير القرآني العجيب .

فلنتابع المشهد الشاخص المعروض :

## ﴿ يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس ﴾ ١

استكثرتم من التابعين لكم من الإنس ، مستمعين لإيحاءكم ، تطيعين  
لوسوستكم ، المتبعين لخطواتكم وهو إخبار لا يقصد به الإخبار فالجن  
يعلمون أنهم قد استكثروا من الإنس ! إنما يقصد به تسجيل الجريمة جرعة  
إعواء هذا الحشد الكبير الذى تكاد سمحه في «شهد اعروض !» ويقصد  
به التأييد على هذه الجريمة التى تتجمع قرائنها الحية في هذا الحشد الهشود !  
لذلك لا يحيب الجن على هذا القول بشيء ، ولكن الأعرار الأعمار من الإنس  
المستحصرين بوسوسة الشياطين يجيبون

﴿ وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا  
الذى أجلت لنا ﴾ ١

وهو جواب يكشف عن طبيعة العقل والخفة في هؤلاء الأتباع ، كما  
يكشف عن مدخل الشيطان إلى نفوسهم في دار الخدع لقد كانوا  
يستمتعون بإعواء الجن وتريسه ما كان يرضيهم من لتصورات والأفكار ،  
ومن المكابرة والاستهتار ، ومن الإثم ظاهره وبصره ! فمن بعد الاستمتاع  
دخل إليهم الشيطان ! وكأب لشياطين تستمتع هؤلاء الأعرار الأعصاب  
كأن تستهويهم وتغث بهم ، وتسحرهم لتحقيق هدف رئيس في عالم إنس !  
وهؤلاء الأعرار المستحصرين يحسبون أنه كان استمتاعاً متبادلاً ، وأنهم كانوا  
يتمتعون فيه ويتمتعون ! ومن ثم يقولون :

﴿ ربنا استمتع بعضنا ببعض ﴾ ١

وذلك هذا المتاع بطور حرة لحسة ، حتى حار الأهل ، الذى يعدمون  
ليوم فقط أن الله هو الذى أمهلهم إليه ، وأنهم كانوا في قبضته في أثناء ذلك  
المتاع ﴿ وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا ﴾ ١

عند ذلك يجيء الحكم الفاصل ، بالجزاء العادل .

﴿ قال الثائر مغواكم حالدين فيها إلا ما شاء الله ﴾

فإنما متابة ومأوى ، وانتوى للإقامة ، وهى إقامة الدوام ﴿ إلا ما  
شاء الله ﴾ لبقى صورة امشيئة الطليقة هى السيطرة على الصور لاعتمادى ،  
مطلقة لمشيئة الإهية قاعدة من قواعد هذا التصور ، وامشيئة لا تحبس ولا

تعيد ، ولا في مقرراتها هي ﴿إِنْ رِئَتْ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ .

يخصى قدره بالناس عن حكمه وعن علمه ، يعرّف بهما الحكماء العلم  
وقبل استئناف الخوارزمية لإتمام مشهد ، يتحول السياق لتعقيب على شطر  
المشهد المنتهى :

﴿وَكَذَلِكَ نُؤْتِي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

يثل هذا الذي قام بين الحق والباطل من ولاء ، وعثل ما انتهى إليه هذا  
الولاء من مصير . عثل ذلك ، وعلى قاعدته ، يرى بعض الظالمين بعضاً بما  
كانوا يكسبون ، يحل بعضهم أولياء بعض ، يحكم ما بينهم من تشابه في الصبح  
والخفية ، ويحكم ما بينهم من اتفاق في الوجهة والهدف ، ويحكم ما ينظرهم  
من وحدة في المصير .

وهو تقرير عام أبعد مدى من حدود المناسبة التي كانت حاضرة ، إنه  
يشود طبيعة الولاء بين الشياطين من إبليس وحقن عامة ، بين الظالمين - وهم  
سدين يشركون بالله في صورة من الصور - يجمع بعضهم إلى بعض في  
مرحلة الحق والهدى ، ويعين بعضهم بعضاً في غداء كل بني والمؤمنين به ،  
بهم فضلاً على أنهم من طيئه وحده - مهما ختمت الأشكال - هم كدست  
أصحاب مصححه وحدة ، يقوم على اعتصاب حق الرواية على الناس ؛ كما  
تقوم على الإطلاق مع الهوى بلا قيد من حاكمية الله .

ويحس براهم في كل زمان كنهه واحده يسند بعضهم بعضاً على ما  
سهم من خلافات وصراع على المصالح - إذ كانت المعركة مع دين الله ومع  
أهلياء الله . ويحكم ما بينهم من اتفاق في الطيئه ، واتفاق في الهدف يقوم  
ذلك الولاء . ويحكم ما يكسبون من الشر وإلثم تنفق مصائرهم في الآخرة  
على نحو ما رأينا في المشهد المعروض !

وبين مشهد في هذه بقدره ومدق قروا كثيرة تجمعاً أصحاباً شياطين  
إبليس من الصليبيين والصهيبيين والوثنيين والشيعيين . على خلاف هذه  
المعسكرات فيما بينها . ولكنه تجمع موجه إلى الإسلام ، وإلى سحق صلائع  
حركات البعث الإسلامي في الأرض كلها

وهو تجمع رهيب فعلاً ، تجمع ه حيرة عشرات الفروع في حرب الإسلام ، مع القوى المادية والثقافية ، مع الأحهرة المسحرة في منطق دائب يعمل وفق أهداف ذلك لتجمع وحطه الشيطانية المكره وهو تجمع يتجلى فيه قور الله سبحانه ﴿ وكذلك نولى بعض الطالبين بعضاً بما كانوا يكسبون ﴾

## إرسال الرسل للجن والإنس

فان تعالى

﴿ يَمْعَشَرُ الْحَزَّ وَالْإِسْ أَمَّيَانِكُمْ  
رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقْصُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَتِي وَيُذَرُّونَكُمُ لِقَاءَ  
يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا  
وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾

وهو سور لتقرير والسجيل ، فالله سبحانه يعلم ما كان من أمرهم في حياة الدنيا ، وخوب عليه إقرار منهم باستحقاقهم هذا خراء في الآخرة والخطاب موجه إلى جن كما هو موجه إلى الإنس فهل أرسل الله إلى جن رسلاً منهم كما أرسل إلى الإنس ؟ لله وحده يعلم شأن هذا الخلق الغيب عن البشر ، انكر انصر يمكن بأويله بأن الجن كانوا يسمعون ما نزل على الرسل ، ويظفون إلى قومهم مسريين به ، كالذى رواه القرآن انكم من أمر الجن في سورة الأحصاف

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْقُرْءَانَ فَلَمَّا  
حَصَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُصِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُّدْرِينَ  
﴿٢٩﴾ قَالُوا يَنْقُومُنَا إِنْ سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى



مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَقَوْمًا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَدَاعِيَ الْيَوْمِ ۚ وَمَنْ لَا يُحِبَّ دَاعِيَ اللَّهِ فَتَيْسَ بِمُتَعَجِّرٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي صَعَلٍ مُّسِينٍ ﴿٣١﴾

محاذير أن يكون سؤال والجواب للجن مع الإنسان قائم على هذه القاعدة ، ولأمر كنه مما يختص الله سبحانه بعلمه ، والبحث فيما وراء هذا القدر لا طائل ورائه !

وعلى أية حال ، فقد أدرك المستولون من الجن والإنس ، أن السنون يس على وجهه ، إما هو سؤال للتقرير والتسحييل ، كما أنه للتأنيب والتوبيخ ، فأحدرا في الاعتراف الكرم ، وسألوا على أنفسهم استحقاقهم لما هم فيه ﴿ قاتلوا شهدنا على أنفسنا ﴾ ، وما يتدخل العقاب على الشاهد ليقول ﴿ وعزتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ﴾ وهو تعقيب لتقرير حقيقة حالهم في الدنيا ، فقد عزتهم هذه الحياة ، وقادهم العرور إلى الكفر ، ثم ما هم أولاء يشهدون على أنفسهم به ، حيث لا تجدى الكفارة والإكفار فأى مصير أبأس من أن يجد الإنسان نفسه في هذا المأرق ، يدى لا يملك أن يدفع عن نفسه فيه ، ولا بكلمة الإكفر ! ولا بكلمة الدفاع !

## دخول كفرة الجن والإنس النار

قال تعالى

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ

(١) الأحقاف ١٩ - ٣٢

رُسُلًا تَقُوفُهُمْ قَالُوا أَأَتَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ  
 قَالُوا صَلُّوا عَلَيْنَا وَشَهِدُوا عَلَيَّ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾  
 قَالَ أَدْخِلْهُ أَيْ أَمْرٍ قَدْ حَلَّتْ مِنْ قَلْبِكُمْ مِنَ الْيَحْسِ وَالْإِسِ  
 فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا آذَرَكُوهَا فِيهَا  
 جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَئِهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَصْلُ نَافِقَاتِهِمْ  
 عَدَا بَا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا نَعْلَمُوكَ ﴿٣٨﴾

ها نحن أولاء ، أمام مشهد هؤلاء الذين افترروا على الله كذباً أو كذبوا  
 بآياته ، وقد جاءتهم رسلهم من الملائكة يتوفوهم ، ويقبضون أرواحهم ،  
 فدار بين هؤلاء وهؤلاء حوار :

﴿ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ؟ ﴾

أين دعاويكم التي افترتم عن الله ؟ ومن آلهكم التي توليتم في الدين ،  
 وقتلتم بها عما جاءكم من الله على يد رسل ؟ أين هي الآن في المحطة الخامسة  
 التي تسبب منكم فيها الحياة ، فلا تحبونكم عاصماً من الموت يؤخركم صاعه  
 عن اميقت الذي أنجده الله ؟

ويكون الجواب هو الجواب الوحيد ، الذي لا معدى عنه ، ولا معالطة

فيه .

﴿ قَالُوا صَلُّوا عَلَيْنَا ﴾ ١

عابر عنا ونهمل . فلا نحن نعرف لهم مقرأ ، ولا هم يسكنون إليها  
 طريقاً ! فما أصعب عبادة لا تنتهي إليهم آهيم ، ولا تسعهم في مثل هذه  
 المحطة الخامسة ! وما أعيب آهة لا تنتهي إلى عبادة ، في مثل هذا الأوان !  
 ﴿ وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ﴾ .

﴿ قال ادخلوا في أُمم قد دخلت من قبلكم من الجن والإنس في النار ... ﴾ .

انصموا إلى رملائكم وأوليائكم من الجن والإنس ؛ وهما في النار ؛ أليس إبليس هو الذي عصي به ؟ وهو الذي أخرج آدم من الجنة وروجه ، وهو الذي أعوى من أعوى من أبياته ، وهو الذي أوعده الله أن يكون هو ومن أعواهم في النار ؟ فدخلوا إذ جميعاً ؛ ادخلوا سابقين ولاحقين ؛ فكلكم أولياء ، وكلكم سوء !

وبعد كانت هذه الأُمم والجماعات والفرق في الدنيا من الولاء بحيث يتبع آخرها أولها ، ويملي متبوعها تابعها ، فسطر اليوم كيف تكون لأحفاد بيها ، وكيف يكون التدبير فيها .

﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَ آخُهَا ﴾ ا

فما أبأسها نهاية تلك التي يلصق فيها الابن أباه ، ويشكر فيها الولي مولاه !

## للجن قلوب وعيون وأذان

قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ  
لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أُذُنٌ لَّا يُسْمَعُونَ  
بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَقِلُونَ ﴾

إن هؤلاء الكثيرين من الجن والإنس محقوقون لجهم ! وهم مهبطون ها !  
فما بلغم كدلت ؟

هالك اعتبارا :

الاعتبار الأول أنه مكنوف لعلم الله الأزل أن هؤلاء الخلق صائرون  
في جهنم ، وهذا لا يحتاج إلى برور العمل الذي يستحقون به جهنم في عالم

الواقع الفعلي لهم . فعلم الله سبحانه شاملاً محيط غير موقف على زمان ولا على حركة ينشأ بعدها الفعل في عالم العباد ، حادث .

والاعتبار الثاني أن هذا نعم لأرلى الذى لا يتعق برمان ولا حركة في عالم العباد الحادث . ليس هو الذى يدفع هذه ، خلافاً إلى لصلال الذى يستحق به جهنم ، إنما هم كما نص الآية :

﴿ هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ آدَانُ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ .

هم م يصحوا القلوب التى أعطوه يفقهو - ودلائل الإيى ، وهى حاصرة في لوجود وفى الرسالات تدركها القلوب المفتوحة والبصائر المكشوفة . وهم لم يفتحوا ، أعينهم يبصرو آيات الله الكونية ، ولم يفتحوا آذانهم يسمعو آيات الله المتلوة . لقد عطّوا هذه لأجهزة لى وهبها وم يستخدموها . لقد عاشوا عافيين لا يتدبرون :

﴿ أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾

و يدين يعملون عما حوهم من آيات الله فى الكون وفى الحياة ، والذين يعملون عما يرهم من الأحداث والغير فلا يرون فيها يد الله . أولئك كالأنعام بل هم أضل . فالأنعام استعدادات فطرية تهبها ، أما نحن والإنس فقد رودوا بالقلب الوعى وبعين البصرة والأذن الملتقطه ، فبد م يصحوا قلوبهم وبصائرهم وأسماعهم تدركوا ، يد مروا بالحياة عافيين لا تلتقط قلوبهم معانيها وعيانتها ، ولا تلتقط أعينهم مشاهدتها ودلالاتها ، ولا تلتقط آذانهم إيقاعاتها ورجاءاتها . فليسهم يكونون أضل من الأنعام الموكولة إلى استعداداتها الفطرية الهدية ، ثم هم يكونون من درء جهنم ! يجرى بهم قدر الله إليها وفق مشيئته حين يضرهم باستعداداتهم تلك ، وجعل قلوب حرائهم هد ، فكانوا كما هم فى علم الله القديم . حسب جهنم مند كانوا !



## الجن جند من جنود سليمان

قال تعالى .

﴿ وَحِشْرَ

لِسُلَيْمَانَ حُوْدُودُ مِنَ الْيَاسْرِ وَالْطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾

فهذه هو موكب سليمان عليه السلام محشود محشور ، يتألف من الجن واليأس والطير ، واليأس معروفون ، أما الجن فهم خلق لا يعرف عنهم إلا ما قصه الله علينا من أمرهم في القرآن ، وهو أنه خلقهم من مارج من نار ، أى من هيب متموج من النار ، وأمرهم يروى البشر وليشرب لا يروهم ﴿ إلى إيه يراكم هو وقيله من حيث لا ترونهم ﴾ الكلام عن إبليس أو الشيطان وإبليس من الجن وأمرهم قد روى على الوسوسة في صدور الناس بالبشر عادة والإيحاء لهم بالمعصية - ولا بدري كيف - وأن منهم طائفة آمنت برسول الله ( ﷺ ) وعيهم هو أو يعرف منهم إيمانهم ولكن أحبره الله بدت إخباراً . ﴿ قل أرحمى إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا . يهدى إلى الرشدا فامنا به ولن نشرك بربنا أحدا ﴾ " ويعرف أن الله سخر طائفة منهم لسليمان عليه السلام يسوب له غاريب والمائيل والخفاف الكبيرة للضعام ، ويغوصون به في البحر ، ويأتمرون بأمره بإذن الله ، ومنهم هؤلاء الذين يظهرون هنا في موكبه مع إخوانهم من اليأس والطير .

ويقول ابن الله سخر بسليمان طائفة من الجن وطائفة من الطير كما سخر به طائفة من اليأس ، وكما أنه لم يكن كل أهل لأرض من اليأس حذاً لسليمان عليه السلام إذ أن منكهم لم يتجاوز ما يعرف الآن بفلسطين ولبنان وسوريا ولعرف إلى صفة لغرب فكذلك لم يكن جميع الجن ولا جميع الطير مستخرين له ، إنما كانت طائفة من كل أمة على السواء .

وسند في مسألة الجن إلى أن إبليس ودريته من الجن كما قال القرآن

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ . ﴾<sup>(١)</sup>

وقال في سورة « الدس » : ﴿ ابْدِئْ يَوسُوسَ فِي صُدُورِ النَّاسِ . مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾<sup>(٢)</sup> . وهؤلاء كانوا يراولون الإغواء والشر والوسوسة للبشر في عهد سليمان ، وما كانوا ليراولوا هـ وهم مسحرون له مقيدون بأمره ، وهو مبي يدعو إلى الهدى ، فافهم إذن أن طائفة من الجن هي التي كانت مسحرة له

وسند في مسألة الطير إلى أن سليمان عليه السلام حين تفقد الطير علم بعية الهدد ، ولو كانت جميع الطيور مُسَخَّرَةً به ، مخشورة في موكبه ، ومنها جميع الهداهد ، ما استطاع أن يتبين عية ههد واحد من ملايين الهداهد فضلاً عن ملايين الطير ، وما قال : مالي لا أرى الهدد ؟ فهو إذن ههد خاص بشخصه وداته ، وقد يكون هو لدى سُحَّرَ لسليمان من أمة الهدد ، أو يكون صاحب النبوة في ذلك المركب من المجموعة المحدودة العدد من جنسه ، ويعين على هذا ما ظهر من أن ذلك الهدد مرهوب إدراكاً خاصاً ليس من نوع إدراك الهدد ولا الطير بصمة عامة ، ولا بد أن هذه العية كانت للصائفة الخاصة التي سُحِّرَت لسليمان ، لا لجميع الهدد وجميع الطيور ، فإن نوع الإدراك الذي ظهر من ذلك الهدد الخاص في مستوى العقلاء الأدكاء الأنقياء من الناس !

حُشِرَ سليمان عليه السلام جنوده من الجن والإنس والطير ، وهو مركب عظيم ، وحشد كبير ، يجمع أوله على آخره ﴿ فهُمْ يَوْمَئِذٍ كَافٍ ﴾ حتى لا يتفرقوا وشيع منهم الموصفي ، فهو حشد عسكري منظم ، يطلق عليه اصطلاح الجنود إشارة إلى الحشد والتنظيم

لقد سار المركب ، مركب سليمان من الجن والإنس والطير ، في ترتيب ونظام ، يجمع آخره على أوله ، ويصم صموغه ، وتتلاءم أخطاه ، حتى إذا أتوا على واد النمل قالت غملة :

(١) الكهف : ٥٠ . (٢) الناس : ٦ - ٥

﴿ يَتَأْتِيهَا التَّمْلُّ أَدْحُلُوا ﴾

مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمُكُمْ سَائِمُنُ وَجُودُهُمْ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ

﴿ ١٨ ﴾ فَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ

نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا

تَرْضَاهُ وَادْخُلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿ ١٩ ﴾

أدخلى برحمته وهو يعصم من الدخول في عباد لله الصالحين ، ورحمة من الله ، تدارك العبد فتوقه إلى العمل الصالح ، فسلط في عداد الصالحين ، يعلم هد ، فصرع إلى ربه أن يكون من المرحومين الموقعين السالكين إلى هد ، الرعي ، يصرع إلى ربه وهم السى الذى أعصم الله عليه وسحر به الحى والإس والطير ، غير أن مكر الله حتى بعد أن اصطفاه ، حائفا أن يقصر به عمله ، وأن يقصر به شكره ، وكذلك تكون احساسه امره بتقوى الله وحشيته والتشوق إلى رصاه ورحمته في المحطة لى تنجى فيها نعمته كما تجلت ، والتممة بقول وسليمان عليه السلام يدرك بها تقول بتعصم الله له وقصه عليه

## قوة الذى عنده علم من الكتاب

### أقوى من قدرة الجن

﴿ قَالَ ﴾

ور نعائى

يَتَأْتِيهَا لَمَلُؤُا أَيُّكُمْ يَأْتِي عَرْشَهَا قَلَّ أَرْيَأُؤِي مُسْلِمِينَ ﴿ ٢٨ ﴾

قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَتَلْتُ تَقُومُ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي

عَلَيْهِ لَقَوًى مُبِينٌ ﴿ ٢٩ ﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَانِيكَ

بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا

مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَتْلُوَنَّهُ أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ  
لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿١﴾

برى ما لدى قصد إليه سيمان عليه السلام من استحصال عرشها قبل  
مجيئها مُسَيَّمَةً مع قومها ؟ مرجح أن هذه كانت وسيلة لعرض مظهر القوة  
الخارقة التي تؤيده ، لتؤثر في قلب الملكة وتفودها إلى الإيمان بالله ، والإدعان  
لدعوته .

وقد عرض عمرت من الجس أن يأتيه به قبل نقضاء جسسه هذه ، وكان  
يحس بحكمهم والنقصاء من الصبح إلى الظهر فيما يروى ، فاستطول سيمان  
عليه السلام هذه العترة واستجهاها فيما يسو . فإذا لدى عنده علم الكتاب  
يعرض أن يأتي به في عمصة عين قبل أن يرتد إليه طرعه ، ولا يذكر اسمه ، ولا الكتاب  
الذي عنده عدم منه ، إنما يهم أنه رجل مؤمن على اتصال بالله ، موهوب  
سراً من الله يستمد به من القوة الكبرى التي لا تقف لها الحواجر والأبعاد ،  
وهو أمر يشاهد أحياناً على أيدي بعض المتصلين ، ولم يكشف سره  
ولا تعنيه ، لأنه خارج عن مأكوف البشر في حياتهم العادية ، وهذا أقصى  
ما يقال في الدائرة المأمومة التي لا تخرج إلى عدم الأساطير والخرافات .

ولقد جرى بعض تفسرين وراء قوله ﴿عنده علم من الكتاب﴾  
فقال بعضهم إنه التوراة وقد بعضهم : إنه كان يعرف اسم الله الأعظم  
وقال بعضهم غير هذا وذاك ، وليس فيما قيل تفسير ولا تعيل مستيقن  
ولأمر أيسر من هذا كله حين نظر إليه بمظار الواقع ، فكأن في هذا الكون  
من أسرار لا عددها ، وكل فيه من قوى لا يستحدها . وكل في النفس البشرية  
من أسرار كذلك وقوى لا تتدلى إليها ، فحينما أورد الله هدى من يريد إلى  
أحد هذه الأسرار وإلى واحدة من هذه القوى لحاءت الخارقة التي لا تقع  
في مأكوف الحياة ، وجرت يادن الله وتديره ونسجيره ، حيث لا يملك من  
لم يرد الله أن يجربها على يديه أن يجربها

وهذا الذي عنده علم من الكتاب ، كانت نفسه مهية بسبب ما عنده



من العلم ، أن تتصل ببعض الأسرار والقوى الكونية التي تتم بها تلك الخارقة التي تمت على يده ، لأن ما عنده من علم الكتاب وصل قلبه بربه على نحو بيته لتلقى ، ولا استخدام ما وهبه الله من قوى وأسرار

وقد ذكر بعض المفسرين أنه هو سليمان نفسه عليه السلام<sup>(١)</sup> رجع برجح أنه غيره ، فلو كان هو لأظهره السياق باسمه ، ولما أحماء ، والقصة عنه ، ولا داعي لإحماء اسمه فيها عند هذا الموقف البهر وبعضهم قال ب اسمه أصف ابن برحيا ولا دليل عليه

## الجن تعمل بين يدي سليمان

قال تعالى : ﴿وَلِسُلَيْمَانَ لَّرِيحَ غَدُوِّهَا شَهْرٌ وَوَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ إِذِ

(١) والذي رآه صواب أن الذي عنده علم من الكتاب هو سليمان عليه السلام والذي يؤكد ما ذهبنا إليه ، أنه لو لم يكن سليمان عليه السلام أقوى من الجن لما استطاع أن يحكمهم بدليل أنه كان يستخدمهم طوعاً أو كرهاً بحيث أنه ما مات ما ظلم على موته إلا دابة لأرض تأكل مساته حتى بعد ذلك أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب لما لبثوا في العذاب المهين ، إذن كانت هذه الواقعة لكثيراً للجن واستعراض عضلات حيث أراد أن يريهم جميعهم أمامه فطلب منهم أي من العاريت - من يستطيع منكم أن يأتي بعرض مكة سب فقال أكثر العاريت قوة أنا أتيتك به قبل أن تقوم من مقامك هذا الذي أتت جناس فيه فحكمهم أي قبل القضاء ، فقال له هذا كل ما تستطيع ؟ فأنا بقدره الله وعما أعطاه من كتاب أني أملك البحر والانس والطير وتسعيرهم فيما أشاء أعطاني المقدره على إحضار هذا العرض بعمضة عين فلما أحضره سليمان وبنت العفريت من هذه القوة قال سليمان عليه السلام يا رآه مستقراً عنده ﴿ هذا من فضل ربي ليبنى أشكر أم أكثر ومن شكر فأنما يشكر لنفسه ومن كفر فإني عني كريم ﴾

إذن هذا امتحان من الله سبحانه وتعالى ، ابتلاء صميم مخيف ، يري هل يشكر عن هذه النعمة أم يأخذ الكبر والعظمة والتمرد والعصيان فيكفر

قال الشيخ حسين مخلوف في « حكمة البيان » ص ٤٨٤ قيل هو سليمان عليه السلام نفسه ، فإن ذلك لطريف للدلالة على شرف العلم والفضله وأن هذه الكرامة كانت بسببه ١ هـ

وقال محمد سليمان الأشقر في « ردة الصير » ص ٤٩٨ قيل هو سليمان عليه السلام هـ ، كأن سليمان عليه السلام مستظلاً ما قاله العفريت ، فقال له تحقير المقدرته أنا أتيتك به قبل أن يتردد إليك طرلك ، والمراد بالطرف تحريك الأجسام وحملها للنظر ﴿ فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبنى أشكر أم أكثر ﴾ أي ليختبرني أشكر بذلك وأعترف أنه من فضله أم أكثر بترك الشكر وعدم القيام به ؟ اهـ

رَبِّهِمْ وَمَنْ يَرْغَبُ مِنْهُمْ عَنْ مَرْيَدِ سِدْقِهِمْ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾  
يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُونَ مِنْ تَحْرِيْبٍ وَتَمْثِيلٍ وَجَفَائٍ كَالْجَوَابِ  
وَقَدْ وَرَّأَيْتُ أَعْمَلُوا أَلْ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ  
الشُّكُّورُ ﴿١٣﴾

وسحير الريح لسيمان عليه السلام تنكأثر حوله برويات ، وبدو صلال  
الإسرائيليات واصحة في تلك برويات ، وإن تكن كتب اليهود الأصديه لم  
تذكر شيئاً عدا - وتخرج من لصوص في تلك لرويات أول ، ولاكتفاء  
بالص بقرآني أسسم ، مع الوقوف به عند طهر البسط لا تتعداه ، ومنه يستفاد  
أن الله سحر لريح لسيمان عليه السلام ، وجعل عدوها أي بوجهها غاديه في بقعه  
معه . ذكر في سورة الأنبياء أنها الأرض المقدسة يستعرق شهر ، ورواها أي  
بعكاس تحاها في برواح يستعرق شهر كندك ، وفق مصحة تحصل من  
عدوها ورواها ، يدركها سيمان عليه سلام ويعفها بأمر الله ، ولا عند  
أن يريد هذا يصاحا حتى لا يدخل في أساطير لا صبط له ولا تحقيق

### ﴿ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَظَرِ ﴾

والقظر الحاس ، وسبق الآيات يشير إلى أن هذا كان معجزة حارقة  
كإلانة الحديد لداود عليه سلام ، وقد يكون ذلك بأن سحر الله له عبأ بر كاتيه من  
سحاس المد من الأرض ، أو بأن أهمه الله إدنه اسحاس حتى يسيل وبصبح  
قابلاً للصب والطرق ، وهو فصل من الله كبير .

### ﴿ وَمَنْ الْجَنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ﴾

وكذلك سحر به طائفة من الجن يعملون بأمره بإذن ربه ، والجن كل  
مسنور لا يره البشر ، وهذا حق سمهم الله جن ولا يعرف جن من أمرهم  
شيئاً ، لا ما ذكره الله عنهم ، وهو يذكر هذا أن الله سحر طائفة منهم سمه  
سليماني عليه السلام فمن عصي منهم بده عذاب الله :

### ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾

وبعد هذا لتعقيب - قبل لانهاء من قصة التسخير - يذكر عني هذا  
الجن نيبان حصول الحزن لله ، وكان بعض المشركين يعبدون الله .  
وهم مشبهون معرضون للعقاب عندما يربعون عن أمر الله

وهم مسحرون لسليمان عليه السلام

﴿ يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور  
واصبات ﴾

ومحاريب من أماكن العبادة ، والتماثيل الصور من نحاس وحشب وغيره ،  
والجواني جمع جانيه وهي الخوص الذي يحيى فيه الماء ، وقد كانت حزن تصنع  
لسليمان عليه السلام جفاناً كبيرة بظعام نشبه الجواني ، وتصنع به قدوراً صالحة  
لتصبيخ راسيه لصحاتها ، وهذه كلها مما دأب من سحر الله الحزن لسليمان عليه السلام  
لتقوم له به حيث شاء ياد الله ، ولكنها أمور حارقة لا سبيل إلى تصورها أو تعليلها  
إلا بأنها حارقة من صبح الله ، وهذا هو تفسيرها الوصح الوحيد

ويحكم هذا بتوجيه الخطاب إلى آل داود ﴿ اعملوا آل داود شكراً ﴾

سحراً لكم هذا وذلك في شخص داود وشخص سليمان عليهما السلام  
فاعملوا يا آل داود شكراً لله ، لا سباهي والتعالي عما سحره الله ، وتعمل  
لصالح شكر الله كبير .

## الجن لا تعلم الغيب

قال تعالى ،

﴿ فَمَا قُضِيَنا عَلَيْهِ لَمُوتَ ما دَهُمُ عَلَى ما وَبِهِ ﴾

إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْ سَعَاتِهِمْ فَلَمَّا حَرَّتِ سَبْطِ الْحَرِّ

أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْعَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾

وقد روي أنه كان متكئاً على عصاه حين واه أحله ، والحزن نروح ونحيء  
مسحرة فيما كشفها إياه من عمل شاق شديد ، فلم تدرك أنه مات ، حتى

جاءت دابة الأرض ، فيبني الأرض ، التي تنحدر بالأحشاب ، وهي باتهم  
 أسقف السرب وأبوها وفوائدها بشراسة قطعة ، في الأماكن التي تعيش فيها ،  
 وفي صعيد مصرى قرى تقيم مبارها دون أن تصنع فيها قطعه حشب واحدة  
 خوفاً من هذه الحشرة التي لا تبقى على امداد الخشب ولا تدرك ، فلما حركت  
 عصا سليمان عليه السلام لم تحمله فخر على الأرض ، وحيد فقط علمت من  
 موته ، وعدد ﴿ تيت الجن أن لو كانوا يعلمون العيب ما لبثوا في العذاب  
 المهين ﴾

فهؤلاء هم الجن الذين يعبدون بعض الناس ، هؤلاء هم سحرة لعبد  
 من عباد الله ، وهؤلاء هم محجوبون عن العيب لقريب ، وبعض الناس يضرب  
 عنهم أسرار العيب البعيد

## عبادة الناس للجن

قل تعالى :

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمْعًا ثُمَّ يَقُولُ لِمَ تَعْبُدُونَ أَهْلُؤَلَاءِ إِنَّا كُنَّا نُؤَادُكُمْ  
 نَعْبُدُونَ ﴿١﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ إِنَّهُ وَلَيْسَ مِنْ دُونِهِمْ شَيْءٌ كَانُوا  
 يَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنُونَ ﴾

فهؤلاء هم الملائكة الذين كانوا يعبدونهم من دون الله ، أو يتحلونهم  
 عنه شعاع ، هؤلاء هم يواجهونهم ، فيسبحون الله تريباً له من هذا  
 لادعاء ، ويتبرعون من عبادة العومهم ، فكأنما هذه عبادة كانت باطلاً  
 صلاً ، وكأنهم لم يسمع ولم يكن لها حقيقة ، إنما هم يتولون الشيطان ، إنما  
 بعبادته واتوجه إليه ، وإنما بطاعته في اتحاد شركاء من دون الله ، وهم حين  
 عبدوا الملائكة إنما كانوا يعبدون الشيطان ! ذلك إلى أن عبادة الجن عرفت  
 بين العرب ، وكان منهم فريق يتوجه إلى الجن بالعبادة أو الاستعانة : ﴿ بل  
 كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ﴾ ، ومن هنا نحى علاقة قصة

سليمان عليه السلام راحس بالقضايا والموضوعات حتى تعالجها السورة ، على طريقه  
سماهه القصص في القرآن الكريم .

## القرين من الجن

قال تعالى :

﴿ وَقَصَّ لَهُمْ

قُرْآنَ قَرِينِهِمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ

الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ

كَانُوا خَاسِرِينَ ١ ﴾

إلى قوله تعالى

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِ الْدِّينَ أَصْلَانَا مِنَ الْجِنِّ

وَالْإِنْسِ بِجَعْلِهِمَا تَحْتَ أَفْدَانِنَا لِيَكُودَ مِنَ الْأَسْفَلِينَ ٢ ﴾

وقال تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ يُسِفُّونَ أَمْوَالَهُمْ رِثَّةَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ

بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُرِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينٌ فَسَاءَ

قَرِينًا ٣ ﴾

وقال تعالى :

﴿ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَى عَيْنِي ﴿٢٢﴾ الْفَيَاقِي حَتَّمْتُ كُلَّ كَفَّارٍ

عَيْنِي ﴿٢٣﴾ مَنَاجِ الْخَبَرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ ﴿٢٤﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا

(١) فصلت ٢٥ . (٢) فصلت ٢٩ (٣) النساء ٣٨

ءَاخِرَ فَأَلْقِيَهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ قَالَ قَرِيبٌ رُبَّمَا أَطْعِمْتَهُ  
وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ  
إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾

يقول الله سبحانه للمسكين خاطبين اسائق والسعيد ﴿﴾ ألقيا في  
جهنم كل كهار عيده . ماع للحير معتد مريب . الذي جعل مع الله إلهاً  
آخر فألقياه في العذاب الشديد ﴿﴾ وذكر هذه النعوت يريد في حرج  
الموقف وشدة فهو دلالة عصب الجبر لفهر في موقف اعصيب الرهيب .  
وهي نعوت فييحة مستحقة لتشديد العقوبة . كفار ، عبيد ، ماع للحير ،  
معتد ، مريب . الذي جعل مع الله إلهاً آخر . وتنتهي بتوكيد الأمر الذي لا  
يحتاج إلى توكيد ﴿﴾ فألقياه في العذاب الشديد ﴿﴾ يبدأ لمكانه من جهنم  
التي بدأ الأمر بإلقائه فيها .

عندئذ يهرع قريبه ويرتحف . ويبدد إلى يعاد ظل الهمة عن نفسه ، ما  
أنه كان مصححاً له وهرياً ﴿﴾ قال قريبه ربما ما أطعته ولكن كان في ضلال  
بعيد ﴿﴾ ، وربما كان القرين هنا غير القرين الأول الذي قدم السجلات ، ربما  
كان هو الشيطان المؤكل به ليعوبه ، وهو يتبرأ من إطعائه ، ويقرر أنه وجده  
صالحاً من عند نفسه ، فاستمع لعواييه ! وفي القرآن مشاهد مشابهة يتبرأ فيها  
القرين الشيطان من القرين الإنساني على هذا النحو

هنا يحییء النفوس انفصل ، هيبي كل قور ﴿﴾ قال لا تختصموا لَدَيَّ وَقَدْ  
قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ . ما يدل انقول لَدَيَّ وما أنا بظلام للعبيد ﴿﴾ فانقام  
ليس مقام احتصام ، وقد سبق الوعيد محدد حراء كل عمل ، وكل شيء  
مسح لا ييس ولا يجري أحد إلا بما هو مسجل ، ولا بطل أحد . فاجارى  
هو الحكم العبد

وقال تعالى

﴿ وَمَنْ تَعَشَّرَ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا

فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ  
أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَنِيتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ  
بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَلْسَنَ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَكِنْ يَنْفَعُكُمْ الْيَوْمَ  
إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾

ولعشى كلال ، مبصر عن الرؤية ، وغالباً ما يكون عند مواجعه الضوء ،  
لصانع الذي لا تمك يدك ، أي أن تحقق فيه ، أو عند دخول لظلام وكلال العين  
انصبغته عن التبين حلاء ، وقد يكون ذلك مرض خاص ، وانقصود به هو  
العمياء ولا عراض عن ذكر الرحمن واستشعار وجوده ورقائه في انصبغ  
﴿ ومن يعيش عن ذكر الرحمن لقيض له شيطاناً فهو له قرين ﴾

وقد قصت مشيئة الله في حقه الإنسان ذلك ، واقتضت أنه حين يعمل  
قسه عن ذكر الله يجد الشيطان طريقه إليه ، فيرماه ، ويصبح له قرين سوء  
يوسوس له ، ويرين له السوء ، وهذا بشرط وجوبه في الآية يعبر عن  
هذه مشيئة لكتبه الله ، التي تحقق معها السحرة عجزوا تحقق سبب ،  
كما قصه الله في عمه

ووضعه فراء السوء من الشياطين أن يصدوا قراءهم عن سبيل الله ،  
بها هؤلاء يحسبون أنهم مهتدون

﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾

وهذا أسوأ ما يصعه قرين بقرين ، أن يصدّه عن السبيل الواحد  
باصدة ثم لا يدعه يهيو ، أو يتبين بصلال فيثوب ، إنما يوهمه أنه سائر  
في الطريق القاصد القوم ! حتى يصطدم بالمصير الأليم

والتعبير بالفعل انصارع ﴿ ليصدوهم ﴾ ﴿ ويحسبون ﴾ بصور  
تعمية قائمة بسكرة معروضة للأطـ يراه لأحرور ، ولا يراه الصانور  
السائرون إلى نفع وهم لا يشعرون

ثم تفاجئهم النهاية وهم سادرون :

﴿ حتى إذا جاءنا قال ياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس  
القرين ﴾ !

وهكذا سقى في ومضة من هذه الدنيا إلى الأخرة ، ويطوى شريط الحياة  
السادرة ، ويصل العمى - الذي يعيشون عن ذكر الرحمن - إلى نهاية الخطأ  
وحاه على غير انتظار ، ها يعيقون كما يعين المغمور ، ويمتحنون أعينهم بعد  
العشى والكلال ، ويظهر الواحد منهم إلى قرين السوء الذي زين له الضلال ،  
وأوهمه أنه اهتدى ! وقاده في طريق الهلاك ، وهو يدوح به بالسلامة يطر إليه  
في حق يقول ﴿ ياليت بيني وبينك بعد المشرقين ﴾ ! ياليت لم يكن يسا  
بقاء ، على هذا البعد السحيق !

ويعقب القرآن على حكاية قول القرين اهتدك للقرين بقوله

﴿ فبئس القرين ﴾ ١٠٠

وتسمع كلمة التنبؤ الساحقة هذا وحدث عبد إسماعيل السار على الجميع .

﴿ ولئن ينفعكم اليوم إذ ظنم أنكم في العذاب مشتركون ﴾ !

فالعذاب كامل لا تجمعهم الشركة ، ولا يتقاسمه شركاء مبهون !

## القرين من الإنس

﴿ فاقبل بعضهم على ﴾ قال تعالى :

بَعْضُ يَنْسَاءَ لَوْ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾

يَقُولُ أَهْ نَكْ لَمِنْ الْمَصْدِقِينَ ﴿٥٢﴾ أَهْ دَامِنَا وَكُنَّا رَبَّاءَ وَعِظْمًا أَهْ نَا

لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَسْمُ مُطْلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَأُطْلِعَ قَرَاءَهُ فِي سَوَاءِ

الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدْتَ لَتُرْدِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا رِغْمَةُ رَبِّي

لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْصَرِينَ ﴿٥٧﴾



يقص أحدهم على إخوانه طرفاً مما وقع له ! لقد كان صاحبه وقرينه ذلك يكتب باليوم الآخر ، ويسأله في دهشة : أهو من المصدقين بأهم مبعوثون فمحاسبون بعد إذ هم تراب وعظام ؟

وبما هو ماضٍ في قصته يعرضها في سمرة مع إخوانه ، يحظر له أن يتفقد صاحبه وقرينه ذلك يعرف مصيره ، وهو يعرف طبيعة الحال أنه قد صار إلى الخجين ، فيتطلع ويدعو لإخوانه إلى التطلع معه :

﴿ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ۖ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾

عندئذ يتوجه إلى بريه السدى وحده في وسط الجحيم ، يتوجه إليه ليقول له - يا هذا ، لقد كدت توردني موارد الردى بوسوستك ، لولا أن الله قد أنعم على فعصى من الاستماع لبيت .

## كل كافر يلحق كفره الجن والإنس في النار

﴿ وَالَّذِي قَالَ ۖ

وَرَبِّهِ نَعَالِي ۖ

لَوْلَدَيْهِ أَفٍّ لَّكُمْ أَتَعَدَّائِي أَنْ أَخْرَجَ وَقَدْ حَبَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَلْبِي وَهُمْ يَسْتَعْجِلُونَ ۚ إِنَّ اللَّهَ وَبِتِّ ۖ آمِنْ ۚ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ النَّارُ فِي أُمُورٍ قَدْ حَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنَ الْحَيِّ وَالْأَيَّامِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا

خَسِيرِينَ ۚ ﴿١٨﴾

فالولد ، مؤمن ، والولد يعاقب بجرهما أول ما يجحد ، فيحاطبهما بالتأفف بخارج الخش والوقح ﴿ أَفٍّ لَّكُمْ ﴾ ، ثم يجحد الآخرة بالحقبة الواهية ﴿ أَتَعَدَّائِي أَنْ أَخْرَجَ ﴾ وقد حلت القرون من قبل ﴿ أَيَّ دَهْرٍ ﴾ ولم يعد منهم أحد ، والساعة مقدرة إلى أحبها ، والبعث حملة بعد انتهاء أجل الحياة الدنيا ، ولم يقل أحد أنه تجرته ، يبعث حبل مصى في عهد جيل يأتي ، فبيست

عنه ويسب عث ، بما هو الحساب الختامي للرحلة كتبها بعد انتهائها ،  
والوالدان يريان لحدود ويسمعان الكهر ، ويرعدان بما يقوله الولد معا  
ربه وهما ، ويرعش جسهما هذا التهجم والتطاول ، ويتهان به ، ﴿ وهما  
يستغيثان الله ويلك آمن إن وعده الله حق ﴾ ، ويبدو في حكاية قولهما المراء  
من هول ما يسمعان ، بما هو يصر على كهره ، ويلج في جموده ﴿ فيقول  
ما هذا إلا أساطير الأولين ﴾

هنا يعاجله الله بمصيره الختوم :

﴿ أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن  
والإنس إنهم كانوا خاسرين ﴾ .

والقول الذي حق على هذا وأمثاله هو العقاب الذي يدل الجاحدين  
المكذبين ، وهم كثير ، حلت بهم القرون من الجن والإنس ، حسب وعيد  
الله الصادق الذي لا يخف ولا يتحيف ﴿ إنهم كانوا خاسرين ﴾ ، وآية  
حساسة أكبر من حسارة الإيمان والسير في دنيا ، ثم حسارة الرصوب والعيم  
في الإخرة ، ثم العذاب الذي يحق على الجاحدين المجرمين ؟

## مقالة التنفر من الجن

قال تعالى

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا  
حَصَرُوهُ قَالُوا أَنُصَلُّوْا فَمَا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ  
(٦٩) قَالُوا يَمْوِمَّا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ  
مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ  
(٧٠) يَقَوْمَنَا أَحْيُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ ، يَغْضِرْ لَكُمْ مِّن  
ذُنُوبِكُمْ وَتُحْزَكُم مِّنْ عَذَابٍ لَّيْمٍ (٧١) وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ

## فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لِمَنِ دُونُهُ أَوْلِيَاءُ أُوَيْيَتِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١﴾

هذه قصة النمر من البحر لذين اسمعوا لهذا القرآن ، فتنادوا بالإبصاة ، واطمأنت قلوبهم إلى الإيمان ، وانصرفوا إلى قومهم مدبرين يدعونهم إلى الله ويُشَرِّوهم بالمعزة والسجاة ، ويخبرونهم الإعرص والصلاب ، سبأه الخير في هذا الحال ، هذه الصورة ، وتصوير من القرب لقنوب نحن هذا حس الذي يتمثل في قولهم ﴿ أَصْبَتُوا ﴾ عندما طرق أسماعهم ، يتمثل فيما حكوه قومهم عنه ، وفيما دعواهم إليه ، كل هذا من شأنه أن يحرك قلوب البشر ، الذين جاء القرآن لهم في الأصل ، وهو إيقاع مؤثر ولاشت ، يلصق هذه القلوب لفتة عييفة عميقة ، وفي الوقت ذاته تحيى الإشارة إلى الصلة بين كتاب موسى عليه السلام وهذا لقرا على لساب البحر ، فتعلن هذه الحقيقة التي يدركها البحر ويعمل بها البشر ، ولا يخفى ما في هذه اللغز من إحياء عميق متفق مع ما جاء في السورة .

كذلك ما يرد في كلام البحر من الإشارة إلى كذب الكواكب المفتوح ، ودلالته على قدرة الله بظاهرة في حلق السموات والأرض ، الشاهدة بقدرته على إحياء واسع ، وهي لفظة سي كادل فيها البشر وما يحجبون ويمسبه انبعث يعرض مشهداً من مشاهد القيامة ﴿ وَيَوْمَ يَعْرِضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى آثَارٍ ﴾

ومعزة النمر من البحر مع حشدهم عند سماع القرآن تنصم أسس الأعمد الكامل تصديق موحى ، ووحدة العصدة بين التوراة والقرآن ، والاعتراف بالحق الذي يهدي إليه ، وإيمان بالأخرة وما يسهي إلى المعزة وما يتهي إلى العذاب من الأعمام ، والإقرار بقوة الله وقدرته على الحق وولايته وحده معاد ، والربط بين حلق الكواكب وإحياء أموى ، وهي الأسر التي تنصم لسورة كلها ، والفصيح التي تعالجها في سائر أشواطها كلها جاء على لساب النمر من البحر ، من عدم آخر عبر عالم الإنسان .

ونحنس قبل أن نستعرض هذه المقالة أن نقول كلمة عن الحق وعن  
الحادثة

إن ذكر القرآن لحادث صرّف نهر من الحق ليستمعوا القرآن من لسان  
( ﷺ ) وحكاية ما قالوا وما فعلوا هذا وحده كاف بدائه لتقرير وجود  
الحق ، ولتقرير وقوع الحادث ، ولتقرير أن الحق هؤلاء يستضيئون أن يستمعوا  
للقرآن بلفظه العربي سطوي كما يلفظه رسول الله ( ﷺ ) ولتقرير أن الحق  
حقق قبلوا للإيمان وينكفروا ، مسعوبون بغيره ونصلان ، وليس هناك  
من حاجه إلى ريبه تثبيت أو تأكيد هذه الحقيقة ، مما يملك بسبب أن يريد  
الحقيقة التي يقررها الله سبحانه ثبوتاً .

ولكننا نحاول إيضاح هذه الحقيقة في التصور الإنساني

إن هذا الكون من حولنا حافل بالأسرار ، حافل بالقوى والخلائق مجهولة  
لنا كنه وصفه وأثره ، ونحن نعيش في أحضان هذه القوى والأسرار ، نعرف  
مها لقليل ، ونجهل منها الكثير ، وفي كل يوم يكشف بعض هذه الأسرار ،  
وندرك بعض هذه القوى ، ونتعرف إلى بعض هذه الخلائق تارة بعد تارة ،  
بصفتها ، وتارة بمجده آثارها في الوجود من حولنا .

ونحن ما نرى في أول الطريق ، ضيق معرفه هذا الكون ، الذي نعيش  
نحن رباباً وأجددنا ويعيش أبناؤنا وأحفادنا ، على هذه من دوائه  
الصغيرة ؛ هذا الكوكب الأرضي الذي لا يبلغ أن يكون شيئاً يذكر في حجم  
الكون أو وزنه !

وما عرّفناه اليوم - ونحن في أول الطريق - بعد بالعباس إلى معارف  
بشرية قبل خمسة قرون فقط عجائب أصبح من عجة الحق ، ولو كان هناك  
ساس قبل خمسة قرون عن شيء من أسرار الله التي نتحدث عنها اليوم نطوه  
محبواً ، أو نطوه نتحدث عما هو أشد غرابية من الحق قطعاً !

ونحن نعرف ونكشف في حدود طاقتنا البشرية ، المدة للحكمة في هذه  
الأرض ، ووفق مقتضيات هذه الخلافة ، وفي دائره ما سنخرجه الله لنا يكشف  
لنا عن أسرارها ، وليكن لنا دليلاً كيما نقوم بواجب الخلافة في الأرض ،  
ولا نتعدي معرفتنا وكشفنا في طبيعتها وفي مداها - مهما مددنا الأمل

أى بالبشرية ومهما سُخِّر لنا من قوى الكون وكُشِف لنا من أسرارهِ  
لا تتعدى تلك الدائرة ، دائرة ما نحتاجه للخلافة في هذه الأرض ، وفق حكمة  
الله وتقديره

وسكُشف كثيراً ، وسعُرف كثيراً ، واستفتح بنا عجائب من أسرار هذا  
الكون وطاقاته ، مما قد تعسر أسرار الدرة بالقياس إليه لبعثة أفعال ! ولكننا  
مستغل في حدود الدائرة المرسومة نبشُر في المعرفة ، وفي حدود قوَى الله  
سبعانه ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ قليلاً بالقياس إلى ما في هذا  
الوجود من أسرار وعيوب لا يعلمها إلا خالقهِ وقبُومهِ ، وفي حدود تمثيهِ لعلهِ  
غير المحدود ، ووسائل المعرفة البشرية لمحدودة بقوله ﴿ ولو أننا في الأرض  
من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ﴾

فليس لنا وإحالة هذه أن نجزم بوجود شيء أو نفيه ، وبتصوره أو عدم  
تصوره ، من عام الغيب المجهول ، ومن أسرار هذا الوجود وقواه ، مجرد أنه  
خارج عن مألوفنا الحقي أو تخريباً لمشهودة ، ونحن لم ندرك بعد كل أسرار  
أجسام وأجهزتها وطاقتها ، فضلاً على إدراك أسرار عقوب وأرواحها !  
وقد تكون هالك أسرار ليس داخلية في برنامج ما يُكشَف بنا عنه أصلاً ،  
وأسرار ليس داخلية في برنامج ما يُكشَف لنا عن كنههِ ، فلا يُكشَف لنا إلا  
عن صفته أو أثره أو مجرد وجودهِ ، لأن هذا لا يعدو في وظيفة الخلافة في  
الأرض

فإد كَشَفَ الله بنا عن العذر المنقسم من هذه الأسرار والقوى ، عن  
طريق كلامهِ - لا عن طريق تخريب ومعارف الصادرة من طاقب انبوهية لنا  
من لديه أيضاً - فسيبنا في هذه الحالة أن نسقى هذه الهبة بالقبول والشكر  
والتسليم ، تتلقاها كما هي فلا نريد عديها ولا نقص منها ، لأن المصدر الوحيد  
الذي سلقى عنه مثل هذه المعرفة لم يمنحنا إلا هذا القدر بلا زيادة ، وليس  
هناك مصدر آخر يتلقى عنه مثل هذه الأسرار !

ومن هذا النص القرآني ، ومن بصوص سورة الجن ، والأرجح أنها نصوص  
عن الحادث نفسه ، ومن البصوص الأخرى المنبثقة في القرآن عن الجن ، ومن

الأثر النبوي، لصحة عن هذا حادث، سميع أن يدرك بعض الخلق  
عنه الجبر، ولا زيادة.

## روايات حادث استماع الجن للقرآن

وأما الحادث الذي تشير إليه هذه الآيات، كما يشير إليه سورة الجن  
كلها على الأرجح، فقد وردت فيه روايات متعددة ثبتت أصحها

أخرج البخاري بإسناد عن مسدد، ومسلم عن شيبان بن فروخ عن  
أبي عوانة، وروى الإمام أحمد في مسنده قال حدثنا عثمان، حدث أبو  
عوانة عن الإمام الحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه «دلائل نبوه» «أخبرنا  
أبو الحسن علي بن أحمد بن عثمان، أخبرنا أحمد بن عبد الصمد، حدث  
إسماعيل القاضي، أخبرنا مسدد، حدث أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد  
ابن جبور، عن ابن عباس قال:

(ما قرأ رسول الله ﷺ على حس ولا رهم، انطلق رسول الله  
(ﷺ) في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حين بين  
الشياطين وبين خير السماء، وأرسلت عندهم الشهب، فرجعوا الشياطين  
إلى قومهم، فقالوا ما لكم؟ فقالوا حين بين وبين خير السماء وأرسلت  
عليها الشهب، قالوا: ما حال بينكم وبين خير السماء إلا شيء حدث،  
فاصبروا في مشرق الأرض ومغربها، واطفئوا هذا الذي حال بينكم وبين  
خير السماء، فانطقوا يصربوا في مشرق الأرض ومغربها، يتمون ما هم  
بذلك حال بينهم وبين خير السماء، فانصرف أولئك القوم الذي توجهوا نحو  
بهامة إلى رسول الله (ﷺ) وهو بحلة عامداً إلى سوق عكاظ، وهو  
يصلي بأصحابه صلاة الفجر فما سمعوا القرآن شتموا له، فقاموا هذا  
والله الذي حال بينكم وبين خير السماء، فهائت حين جمعوا إلى قومهم  
وقالوا يا قوم ﴿إِنْ سَمِعْتُمْ قُرْآنًا عَجَبًا﴾ يهدي إلى الرشاد فانتبهوا ولن يشرك  
برباً أحداً ﴿وَأَنْتُمْ لَنْ تَكُونُوا بِأَعْيُنِنَا﴾ ﴿قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ  
نَفَرَ مِنْ الْجِنِّ﴾، وإنما أوحى إليه قول آخر:

وأخرج مسلم وأبو داود وترمذي بإسناد عن علقمة، عن قلب

لا بن مسعود هل صاحب النبي ( ﷺ ) منكم أحد ليلة الجن ؟ قال ما  
 صحبه أحد ما وبك كما معه ذات ليلة ، ففقدناه والتمسناه في الأودية  
 وشعاب ، فقنا استطير ، أو عتيل ، فبتنا بشر ليلة بات بها قوم ، فلما  
 أصبح فإد هو جاء من قبل حراء ، فقنا يارسول الله فقدناك فطلبناك فمنا  
 نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم » فقال

« أناني دعني الجن فذهبت معه ، فقرأت عليهم القرآن »

قال فاصطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار بيوتهم ، وسألوه براد فقد  
 « لكم كل عظم ذكر اسم الله تعالى عليه ، يقع في أيديكم أو فر ما يكون  
 لحماً ، وكل بهرة أو روثة علف لدوابكم » .

فقال ( ﷺ ) : « فلا تستجوا بهم فيهما طعام إخوانكم »

وقد ساق بن إسحاق فيما رواه ابن هشام في السيرة - حبر النمر  
 من الجن بعد حبر حروح رسول الله ( ﷺ ) في لطائف يسمي البصره من  
 ثقيف ، بعد موت عمه أبي طالب ، واشتد الأذى عليه وعلى المسلمين في  
 مكة ، ورد ثقيف به رد فييحاً ، وعرانهم انسهاء ولأطعال به ، حتى أدمو  
 قدميه ( ﷺ ) بالحجارة ، فتوجه إلى ربه بذلك الابتهاج المؤثر العميق ، بكرم

« انهم بيك أشكو ضعف قوتي ، وفنه حيلتي ، وهواي على الناس ،  
 يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربي ، إلى من مكني ؟ إلى  
 بعيد يتجهمني ؟ أم إلى عدو منكته أمري ؟ إلى من يكن بك على غضب فلا  
 أبالي ، ولكن عدوتك أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له  
 الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن ينزل بي غضبك ، أو  
 يحل علي سخطك ، بك العتي حتى يرصني ، ولا حول ولا قوة إلا  
 بك » (١)

قال : ثم إن رسول الله ( ﷺ ) انصرف من انطائف راجعاً إلى  
 مكة ، حين ينس من حبر ثقيف ، حتى إذا كان بمحلة قام من جوف الليل  
 يصل ، فمر به النمر من الجن الذين ذكرهم الله بذكر وتعالى ، وهم فيما

(١) أخرجه الطبري في تاريخه ٢ ٣٤٥ - ٣٤٦ ، و البداية ١ ٣٦٣ وسألت تخريجه كاملاً فيما

ذكر لي سبعة نفر من جن بصيين ، فاستمعوا له ، فلما فرغ من صلاته ولوا إلى قومهم مدبرين ، قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا ، فقص الله خبرهم عليه ( ﷺ ) ، قال الله عز وجل ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ وَيُحْزَنُكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ (١) ، وقال تعالى ﴿ قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ اللَّهُ أَسْمَعَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ ﴾ (٢) إلى آخر القصة من خبرهم في هذه السورة .

وبعقب ابن كثير في التفسير على رواية ابن إسحاق بقوله : وهذا صحيح ، ولكن قوله : إن الجن كان استماعهم تلك الليلة فيه نظر ، فإن الجن كان استماعهم في ابتداء الإحياء ، كما دل عليه حديث ابن عباس المذكور ، وخروجه ( ﷺ ) إلى الطائف كان بعد موت عمه ، وذلك قبل الهجرة سنة أو سنتين كما قرره ابن إسحاق وغيره ، والله أعلم .

وهناك روايات أخرى كثيرة ، ونحن نعتمد من جميع هذه الروايات الرواية الأولى عن ابن عباس ، لأنها هي التي تتفق تماماً مع النصوص القرآنية ﴿ قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ اللَّهُ أَسْمَعَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ ﴾ ، وهي قصعة في أدل لرسول ( ﷺ ) إن عدم بالحدوث عن طريق الوحي ، وأنه لم ير الجن ولم يشعر بهم ، ثم إن هذه الرواية هي الأقوى من ناحية الإسناد والتحرير ، وتفق معها في هذه العظة رواية ابن إسحاق ، كما يقويها ما عرفناه من القرآن من صفة الجن ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوُهُمْ ﴾

وفي هذا مقام في تحقيق الحادثة

## تفسير الله في استماع الجن لرسول الله ( ﷺ )

قال تعالى

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَصَرُوهُ قَالُوا أَتُصَوِّفُونَ ﴾ (٣)

(١) الأحقاف ٢٩ ٣١ (٢) الجن ١ (٣) الأحقاف ٢٩



لقد كان إداد تدبيراً من الله أن يصرف هؤلاء السمر من الجن إلى استماع القرآن ، لا مضادة عابرة ، وكان في تدبير الله أن تعرف الجن بيا الرسالة الأخيرة كما عرفت من قبل رسالة موسى ، وأن يؤمن فريق منهم ويهتو من النار المعدة لشياطين الجن كما هي معدة لشياطين الإنس .

ويرسم النص مشهد هذا السمر - وهم ما بين ثلاثة وعشرة - وهم يستمعون إلى هذا القرآن ، ويصور ما وقع في حسنهم منه ، من الروعة والتأثر والرهبة والخشوع ﴿ فلما حصروه قالوا أنصتوا ﴾ ، وتلقى هذه الكلمة ظلال الموقف كنه طول مدة الاستماع

## مسارعة الجن لإنذار قومهم

قال تعالى

﴿ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴾

وهذه كذلك تصور الأثر الذي انطبع في قلوبهم من الإنصات لقرآن ، فقد استمعوا صامتين متنبهين حتى النهاية ، فلما انتهت النلاوة لم يلبثوا أن سرعوا إلى قومهم ، وقد حملت نفوسهم ومشاعرهم منه مالا ينطق السكوت عنه ، أو التلكؤ في إبلاعه والإند به ، وهي حالة من امتلاء حسه بشيء جديد ، وحفل مشاعره بمؤثر قاهر غلاب ، يدفعه دفعا إلى الحركة به والاحتفال بشأنه ، وإبلاعه للآخرين في جد واهتمام :

﴿ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنَّا بَعْدَ مُوسَىٰ

مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

ولمّا إلى قومهم مسارعين يقولون هم : إنا سمعنا كتاباً جديداً أنزل من بعد موسى ، يصدق كتب موسى في أصوله ، فهم إداد كانوا يعرفون كتاب موسى عليه السلام ، فأدركوا الصلة بين الكتابين بمجرد سماع آيات من هذا القرآن ، قد لا يكون فيها ذكر لموسى ولا لكتابه ، ولكن طبيعتها بشي بأنها من ذلك

البيع الذي بيع منه كتاب موسى عليه السلام ، وشهادة هؤلاء ، الحسن ، يعيدان -  
نسباً عن مؤثرات الحية البشرية ، مجرد تدووقهم لأيات من القرآن ، ذات دلالة  
و ذات رجاء عميق .

ثم عبروا عما خالج مشاعرهم منه ، وما أحس صمايرهم فيه ، فقالوا  
عه

### ﴿ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

واقف حق و هدى في هد الف - هائل صحم ، لا يقف له قلب غير  
مضموس ، ولا يصمد له روح غير معنده ولا مستكبرة ولا مشدودة باهوى  
خارج التثنية ، ومن ثم يس هذه القلوب لأول وهبه ، فرد هي تنطق بهذه  
الشهادة ، وتعب عما مسها منه هدا ، لتعبر

ثم مضوا في تدريسهم قومهم ل خمسة أسباع مدفع ، الذي يحس أن  
عليه واجباً في الندارة لا بد أن يؤدبه .

﴿ نَقُومَنَّ أَحْيَا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ ، يَعْفِرْ لَكُمْ مِنْ

دُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾

فقد عبروا بروح هدا الكتاب إلى لأرض دعوة من لله بكل من بدعته  
من يس وحس ، وعبروا بمحمد ﷺ داعي هم إلى الله مجرد بلاوته هدا  
الف - واسم مع التثنية له ، فادوا قومهم ﴿ يا قومنا أحيوا داعي الله وآمنوا  
به ﴾

• منو كذلك - لأخرة ، وعرفوا أن الإيمان والاستجابة لله يكون معهم  
عبر - نسب وإحاراه من عذاب ، فيشرو ونسرو هدا الذي عرفوه  
ويروى ابن إسحق أن مقالة حر است عبد هدا الآية ، ولكن السياق  
يوحى - أن لا يبين لتأسيس هما من مقولات الف أيضاً ، ونحن نرجو هدا  
وبخاصة الآية التالية :

﴿ وَمَنْ لَا يُحِبَّ دَاعِيَ اللَّهِ فَيَتَسَّعْجِرْ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ

## أُولِيَاءُ أُولَئِكَ فِي صُلْبٍ مُّسِينٍ ﴿١٠﴾

فهى بكمله طبيعیه سدارة لهر لغومهم ههد دعوهم إلى لاستجابة  
و لإيمان ، و لاحمال قوى و راحح أن ييسو لهم أن عدم الاستجابة و حيم العوبة ،  
و أن لدى لا يستحيب لا يعحر الله أن يأتي به و يوقع عليه ، جزم ، و يديقه  
بعداد لأليم ، فلا يجد له من دواب الله أوياء يصرويه أو يعينوه ، و أن هؤلاء  
المعرضين صالون صلالاً تيّناً عن الصراط المستقيم .

و كذلك لاية اسی بعدها يضمن كثير أن تكون من كلامهم ، تعجيباً  
من وثقت الدين لا يستحيون لله ، حاسبين أنهم سيهتوب ، أو أنه بس هالك  
حساب ولا جزم :

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَغَيَّرْ خَلْقَهُنَّ يَقْدِرْ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَىٰ

إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١١﴾

## سورة الجن وإيقاعها الموسيقي

قال تعالى :

﴿ قُلْ أُوْحِيَٓتْ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَهَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا

عَجَبًا ۝١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ أَحَدًا ۝٢﴾

وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ

يَقُولُ مَن فِئْهُنَا عَلَىٰ آلِهَةٍ شَطَطًا ۝٤﴾ وَأَنَّا طَسَاءُ أَلَمْ نَقُولِ الْإِنسُ

وَالْجِنُّ عَلَىٰ اللَّهِ كِدًا ۝٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ

مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ

اللَّهُ أَحَدًا ۝٧﴾ وَأَنَّا نَمَسُّنَا السَّمَاءَ فَوَحْدَنُهَا مَلَأْنَاهَا حَرَسًا

شَدِيدًا وَشَهَابًا ﴿٨﴾ وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمْعِ فَمَنْ  
 نَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شَهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَا لَا تَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ  
 يَمْرُؤٍ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَا مِنَّا لَصَلِحُونَ  
 وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا ﴿١١﴾ وَاتَّخِذْنَا أَنْ لَّنْ يُغِيرَ  
 آتِيهِ فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ تُعْجِرُهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى  
 ءَامَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَحْزَنُ خَسَا وَلَا رَهَقَ ﴿١٣﴾  
 وَأَنَا مِنَّا الْمُتَسِلِّمُونَ وَمِمَّا الْقَسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ  
 نَحْنُ أَرْشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَلًا ﴿١٥﴾  
 وَالْوُاسِقُمْ أَعْلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِيَهُمْ مَاءً عَذَقًا ﴿١٦﴾ يَتَّبِعُهُمُ  
 فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ سَسُكَّهُ عَذَابًا صَعَدَ ﴿١٧﴾ وَأَنَّ  
 الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنْتُمْ لَمَّا قَمَّ عِنْدَ اللَّهِ  
 تَدْعُوهُ كَادُوا أَنْ يَكُونُوا عَلَيْهِ لِنْدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ  
 بِهِ أَحَدًا ﴿٢٠﴾

هذه السورة ثبته الجسر قبل أن ينظر من المعنى والخفائق الواردة فيها  
 شيء آخر واضح كل الوضوح فيها ، بها قطعة موسيقية مصردة الإيقاع ،  
 قوبه التسليم ، طاهره الربيع ، مع صيغة من الحزن في إيقاعها ، ومسحجه من  
 الأمي في تعينها ، وطائف من الشجى في رجبها ، يساند هذه الطهارة ويتناسق  
 معها صور السورة وصلاتها ومشاهدتها ، ثم روح الإيحاء فيها ، وبخاصه في  
 الشطر الأخير منها بعد انتهاء حكيمة قول الجسر ، والإيحاء بالخطاب إلى رسون

الله (عليه السلام) هـذا الخطاب الذي يشرع عطف على شخص الرسول في قلبه يستمع لهذه السورة ، عطفاً مصحوباً بحب وهو يؤمر أن يعلن تحرده من كل شيء في أمر هذه الدعوة ، لا ابتلاع والرقابة الإلهية بصرويه حوته وهو يقوم بهذا ابتلاع .

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا إِلَىٰ مَا أُسِّرْتُ

بِهِ أَحَدًا ۖ ﴿٢﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ صَرًّا وَلَا رَشَدًا ۖ ﴿٣﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُخْرِجَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۖ ﴿٤﴾ إِلَّا نَلْعَا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ ۚ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ ثَوَابَ حَسَنَةٍ ۚ ﴿٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ ﴿٦﴾ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرٍ وَأَقْلَبُ عِدَدٍ ۖ ﴿٧﴾ قُلْ إِنِّي أَدْرَأْتُ أَقْرَبَ مَا تَوْعَدُونَ أَمْ يَحْعِلُّ لَهُمْ رَبِّي أَمَدًا ۖ ﴿٨﴾ عَنِمُ الْعَيْبُ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ عَيْبِهِ أَحَدًا ۖ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُمْ لَسُلُوكٌ مِنْ نَبِيِّدِيهِ وَمَنْ حَفِيهِ بِرَصْدَا ۖ ﴿١٠﴾ لِيَعْلَمَ أَرَادَ أَنْ نَلْعُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَخْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ۖ ﴿١١﴾

وبذلك كله إلى حدب الإيقاع انفسى لمحقق اننى وردت في حكاية فون الحس ، وبماهم الصووين المديد ، وهى حقائق ذات ثقل ووزن في الحس والتصور ، ولاستجابه ها تعشى الحس بحاله من التدبر وتفكير ، تنسب مسحة اخرون وربة انشجى المتمشية في إيقاع السورة الموسيقىه ا وفراعه هذه السورة شئء من التهلل لهادئ بوقع في الحس هذا اندى وصفاه من المسحة العابة عنها .

## التصور الإسلامى عن حقيقة الجن

فإذا سحاورنا هذه الظاهرة التى تُبدى الحس ، إلى موضوع سورة الجن ومعانيها واتجاهها فيما نجد من حافة بشتى الدلالات والإيهامات إليها ابتداء شهادة من عالم آخر بكثير من قصايا العقيدة التى كان البشر كون يحدونها ويحدون فيها أشد الحذر ، ويرحمون في أمرها رحماً لا يستندون فيه إلى حجة ، ويرحمون أحياناً أن محمداً (ﷺ) يتلقى من الحسن ما يقويه هم عنها ، فتجىء الشهادة من الحسن أنفسهم بهذه القصايا التى يحدونها ويحدون فيها ، ويتكذب دعواهم في استمساد محمد (ﷺ) من الحسن شيئاً ، والحسن لم يعلموا بهذا القرآن إلا حين سمعوه من محمد (ﷺ) فهالهم ورعهم وفستهم منه ما يدهش ويدهل ، وملاً نفوسهم وقاص حتى ما يسكون السكوب على ما سمعوا ، ولا الإجمال فيما عرفوا ، ولا الاحتصار فيما شعروا ، فاطفقوا يحدثون في روعة المأخوذ ، ووهله الشدوه ، عن هذا الحادث العظيم ، الذى شغل السماء والأرض والإنس والحسن والملائكة والكواكب ، ونرى أثره وبنائجه في الكون كله ! وهى شهادة لما قيمها في النفس البشرية حتماً .

ثم إنها تصحيح لأوهام كثيرة عن عالم الحسن فى نفوس المحاطين ابتداء بهذه السورة ، إلى نفوس الناس جميعاً من قبل ومن بعد ، ووضع حقيقة هذا الخلق المغيب في موضعها بلا غش ولا اعتساف ، فقد كان العرب المحاصون بهذا بقرآب أو مره يعتقدون أن للحسن سلطاناً في الأرض ، فكان الواحد منهم إذا أمسى بوايد أو قصر ، نجأ إلى لاستعادته بعظيم الحسن الحاكم لما نزل فيه من الأرض ، فقال : أعود بسيد هذا الوادى من سفهاء قومه ، ثم باب آسماً ! كدبت كانوا يعتقدون أن الحسن نعم العيب وتخبر به الكهان فيستوثق بما يتنبئون ، وفيهم من عبد الحسن وجعل بينهم وبين الله سبياً ، ورغم له سبحانه وتعالى روجة منهم تلك له الملائكة !

ولاعتقاد في الحسن على هذا النحو أو شبهه كان قشياً في كل جاهليه ، ولا تزال الأوهام والأساطير من هذا النوع تسود بيشات كثيرة إلى يوم هذا !

• بعد كتاب الأوهام والأساطير تعبر قلوب الناس ومشاعرهم  
 وبصورتهم عن الحب في القديم ، وماتران ، نجد في الصف الآخر ليوم  
 مكرين بوجود نحن أصلاً ، يصور أي حديث عن هذا الحب سميع وأنه  
 حديث حرافة

وبين الإعراف في الوهم ، والإعراف في الإنكا ، يفور لإسلام حقيقة  
 الحب ، ويصحح التصورات العدمية عنهم ، ويحرر القلوب من حوائجها  
 وحصوعها لسلطانهم الموهوم

والحب بهم حقيقة موجوده فعلاً وهم كما يصورون أنفسهم هم ﴿ وأنا  
 ما الصالحون وما دون ذلك كنا طرائق قلداً ﴾ ، ومهم الصالحون الصالحون  
 ومهم السدح الأبرياء الذين يحدعون ﴿ وأنته كان يقول سفيهاً على الله  
 شططاً ﴾ وأنا ظناً أن لن نقول الإنس والجر على الله كذباً ﴿

وهم قبلون بهديه من الصلاح ، مسبحون لإدراك القرآن سماعاً ومهناً  
 وتأثراً ﴿ قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا  
 عجلاً ﴾ يهدي إلى الرشاد فآمنّا به ولن نشرك بربنا أحداً ﴿

وأهم قلوب خلفهم تتوهم اخفاء عديم وتحقيق نتائج الإيمان وكم  
 فيهم ﴿ وأنا لنا سمعنا الهدى آمناً به فمس يؤمن بربه فلا يخاف بخساً  
 ولا رهقاً ﴾ وأنا ما المسلمون وما القاسطون فمس أسلم فأولئك تحمروا  
 رشداً ﴾ وأنا القاسطون فكانوا لجهنم خطياً ﴿

وأهم لا يصور الإنس حين يلودون بهم بل يرهقونهم ﴿ وأنته كان  
 رجال من الإنس يعوذون برجال من آخر فزدوهم رهقاً ﴿

وأهم لا يعملون العيب ، ولم يعد هم صله بالسماء ﴿ وأنا لما السماء  
 فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً ﴾ وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن  
 يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً ﴾ وأنا لا ندرى أشترأريد عن في الأرض أم أراد  
 بهم ربهم رشداً ﴿

وأهم لا صهر سهم وبين لله سبحانه وعالي ولا سب ﴿ وأنته تعالى حدث ربنا  
 ما اتخذ صاحبة ولا ولداً ﴿

وأن آخر لا قوة هم مع قوة الله ولا حيلة ﴿ وأنا ظناً أن لن نعجز

## الله في الأرض ولن بعجزه هرباً ﴿١﴾ .

وهذا الذي ذكر في هذه السورة عن الجن بإضافته إلى ما جاء في القرآن من صفات أخرى كتسحير طائفة من شياطين لسليمان عليه السلام - وهم من الجن - وأنهم لم يعلموا موته إلا بعد فتره ، فدل هذا على أنهم لا يعلمون الغيب ﴿٢﴾ فلما قصبا عليه الموت ما ذلّهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما غرّ قبيس الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ﴿٣﴾ .

ومثل قوته تعالى عن حصيصه من حصائص إبليس وقيله - وهو من الجن - غير أنه منحصر للشر والفساد والإعراء ﴿٤﴾ إنه يراكم هو وقيله من حيث لا ترونهم ﴿٥﴾ ، وما يدب عليه من أن كيان الجن غير مرئي للبشر ، في حين أن كيان الإنس مرئي للجن .

هذا بإضافة إلى ما قرره في سورة الرحمن عن المادة التي منها كيان الجن وإماده التي منها كيان الإنسان في قوته تعالى ﴿٦﴾ خلق الإنسان من صلصال كالفخار . وخلق الخان من نار ﴿٧﴾ يعطى صوره عن ذلك الخلق الغيب ، تلك وجوده ، وتحدد الكثير من خصائصه ، وفي الوقت ذاته تكشف الأوهام والأساطير ، للعلاقة بالأدهان عن ذلك الخلق ، وبدع المسهم عنه واصحاً دقيقاً متحرراً من الوهم والخفة ، ومن لتعسف في الإيثار الخوام كذلك !

وقد تكفلت هذه السورة بتصحيح ما كان مشركو العرب وغيرهم يظنون عن قدره الجن ودورهم في هذا الكون ، أما الذين يكررون وجود هذا الخلق صلاً ، فلا أدري علام يسوب هذا الإيثار ، بصيغة الحرم والقطع ، وتسحيره من الاعتقاد بوجوده ، وتسميته حرافه !

ألأنهم عرفوا كل ما في هذا الكون من خلائق فهم يجدوا الجن من بينها ؟ إن أحد من العناء لا يرغم هذا حتى ليوم ، وإن في هذه الأرض وحدها من الخلائق الحية كثيراً مما يكشف وجوده يوماً بعد يوم ، ولم يقل أحد من سلسله المكشوف للأحياء في الأرض وقتب أو ستقف في يوم من الأيام !

(١) سبأ ١٤ (٢) الرحمن ١٤ - ١٥



الألهم عرفوا كل القوى المكنونة في هذا الكون فهم يجدوا الحق من بينها ؟  
 إن أحداً لا يدعي هذه الدعوى ، فهناك قوى مكنونة تكشف كل يوم ، وهي  
 كانت مجهولة بالأمس ، والعلماء جادون في التعرف على القوى الكونية ، وهم  
 يعلنون في تواضع قادتهم إليه كشوقهم العدمية ذاتها ، أنهم يقفون على حافة  
 المجهول في هذا الكون ، وألهم لم يكادوا يبدعون بعد !

الألهم ، أو كل القوى التي استخدموها ، فلم يروا الحق من بينها ؟ ولا  
 هذه فإنهم يتحدثون عن الكهرب بوصفه حقيقة عسية مد توصلوا إلى تحطم  
 يدرة ، ولكن أحداً منهم لم ير لكهرب قط ، وليس في معاملهم من الأجهزة  
 ما يبرزون به كهربياً من هذه الكهرب التي يتحدثون عنها !

فهم يدرك هذا الحرم سوى وجود الحق ؟ ومعلومات البشر عن هذا الكون  
 وقواه وسكانه من الصلابة بحيث لا تسمح لإسنان يحترم عقده أن يحرم بشيء ؟  
 الآن هذا الخلق المسمى حق تعلقت به حركات شتى وأساطير كثيرة ؟ إن  
 طريق في هذه الحالة هو إبطال هذه الخرافات والأساطير كما صبح القرآن  
 الكريم ، لا التبحر بغير وجود هذا خلق من الأساس ، بلا حجة ولا دليل !  
 ومثل هذا العيب ينبغي تنفي بعه من المصدر الوحيد الموثوق بصحته ، وعدم  
 معارضة هذا المصدر بتصورات سابقة لم تسجد منه ، عما يقوله هو كلمة  
 الفصل في مثل هذا الموضوع

## ما اشترك به الجن والإنس

سورة الجن تساهم مساهمة كبيرة في إنشاء التصور الإسلامي عن حقيقة  
 الألوهية ، وحقيقة العبودية ، ثم عن هذا الكون وحالاته ، والصلة بين هذه  
 الحقائق المصوعة

وفي مقالة الجن ما يشهد بوحداية الله ، وبهي الصاحبة والوحد ، وإثبات  
 الجراء في الآخرة ، وأن أحداً من خلق الله لا يعجزه في الأرض ولا يملأ  
 من يديه ويهونه ، فلا يلقى جراءه العادن ، وتتكرر بعض هذه لحقائق فيما  
 يوجه للرسول ( ﷺ ) من الحصاد : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ  
 أَحَدًا ﴾ ، ﴿ قُلْ إِنِّي لَنْ يَخِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ .

وذلك بعد شهادة الجن بهذه الحقيقة شهادة كاملة صريحة

كما أن تلك الشهادة تقرر أن الأنوثة لله وحده ، وأن العبودية هي أنى درجة يرتفع إليها البشر ﴿ وألله لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً ﴾ ، ويؤكد سيقى هذه حقيقة فيما يرويه برسور ( ﷺ ) من خطاب ﴿ قل إني لا أملك لكم صراً ولا رشداً ﴾

ويعيب موكور لله وحده ، لا تعرفه آخر ﴿ وأنا لا بدري أنشأ أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً ﴾ ، ولا تعرفه الرسل إلا ما يطعمهم الله عليه من حكمة يعلمها ﴿ قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمداً ، عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً ، إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خفيه مصداً ﴾

أما العباد والعبيد في هذا الكون ، فقد عظمنا السورة أن بين بعضها والعصا لآخر مسدات ومنايا ، وبو حلف تكويها ، كما نشر كات لتي بين الحق والإس ، ثم حكمة السورة وحكمة القرآن في مواضع أخرى ، فالإنسان ليس معز حتى في هذه لأرض عن الخلائق الأخرى ، وبينها اتصال وتفاعل في صورة من الصور ، وهذه العزلة التي يحسها الإنسان بجسده بله العزلة المردية أو الغيبية أو القومسة لا وجود لها في طبيعة الكون ولا في رقبته ، وأخرى هذا تصور أن يصح في شعور الإنسان بالكون وما يحمله من رواح وقوى وأسرار ، قد يعجز الإنسان ، ولكنها موجودة بالفعل من حوله ، فهو ليس بالوحيد هذا الكون كما يعين به أحياناً أن يشعر ١١

ثم إن هناك ارتباط بين أسبقته للخلائق على طريقة ، وتحركات هذا لكون ونشأتها ، وقدرته في العباد ﴿ وألوا استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً ، لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعباً ﴾ ، وهذه الحقيقة تؤلف جانباً من تصور الإسلامى فلا تباينات بين الإنسان والكون وقدر الله

## تكرار حادث استماع الجن للقرآن

أما هذا الحادث ندى أشارت إليه السورة ، حادث استماع نمر من الجن للقرآن ، فتخلف بشأنه الروايات : قال البيهقي في كتابه « دلائل النبوة » بسنده لابن عباس قال .

« ما فرأ رسول الله ( ﷺ ) على الجن ولا رآهم ، انطلق رسول الله ( ﷺ ) على طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، أرسلت عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين إلى قومهم ، فقالوا ما لكم ؟ فقالوا حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأرسل علينا الشهب ، قالوا . ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث ، فاصربوا مشارق الأرض ومغاريها ، وانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء ، فانطلقوا يصربون مشارق لأرض ومغاريها يستفون ما هذا الذي حال بينهم وبين خبر السماء ، فانصرف أولئك النفر الذين توجهوا نحو دهامة إلى رسول الله ( ﷺ ) وهو بحلة عامد إلى سوق عكاظ ، وهو يصلي بأصحابه صلاة المعجر ، فلما سمعوا القرآن سمعوا إليه ، فقالوا هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء ، فهانك حين رجعو إلى قومهم قالوا ﴿ إنا سمعنا قرآناً عجباً - يهدي إلى الرشاد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً ﴾ ، وأنزل الله على نبيه ( ﷺ ) ﴿ قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن ﴾ ، وإنما أوحى إليه قول الجن (١) .

فهذه رواية .

وهناك رواية أخرى أخرجها مسلم في « صحيحه » عن عامر قال : سألت علقمة هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله ( ﷺ ) ليلة الجن ؟ قال : فقال علقمة : أنا سألت ابن مسعود فقلت : هل شهد أحد منكم مع رسول الله ( ﷺ ) ليلة الجن ؟ قال لا ، ولكنا كنا مع رسول الله ( ﷺ )

(١) أخرجه البخاري ومسلم كما عزاه في « الظلال » ، ٣٧٢٤/٦ ، وأخرجه الحاكم ٥٠٣٧ ، والبيهقي

دات لينة ، فقدناه فالتمسناه في الأودية وشعاب ، فقيل استظير ؟ اعتيل ؟  
 قال فبنا بشر بيته باب ها قوة ، فيما أصبح إذا هو ، جاء من قبل حراء ،  
 قال فقنا يارسول الله ، فقدناك فطلبناك فلم نجدك ، فبنا بشر بيته باب  
 ها قوم ، فقال :

« أتاني داعي الجن ، فذهبت معهم فقرأت عليهم القرآن » .

قال فانطلق بآثارنا آثارهم وآثار يبراهيم ، وسألوه انراد فقال « كل  
 عظم ذكر اسم الله عنه يقع في أيديكم أو من يهوى به يكون خماً ، وكل بركة أو  
 روثه عذب تدوابكم » ، قال رسول الله ( ﷺ ) « فلا تمسجوا بهما فلا يهما  
 طعام إخوانكم » .

وهذا رواية أخرى عن ابن مسعود أنه كان يملك الدبالة مع رسول الله  
 ( ﷺ ) ولكن ساد برواية الأولى أو ثبوته ، فصرح عن هذه وأنها ، ومن  
 الروايين الوردتين في الصحيحين يشي أن ابن عباس يقول إن رسول الله  
 ( ﷺ ) لم يعرف بحصور لفر من الجن ، وأن ابن مسعود يقول : بهم  
 استدعوه ، ويوفق البقي بين الروايتين بأنهما حادثان لا يحدث واحد

وهذا رواية ثالثة لأبي إسحاق قال :

« لما هبت أبو طالب دلت قريش من رسول الله ( ﷺ ) من الأذى  
 ما لم يكن ثاب منه في حياة عمه أبي طالب ، فخرج رسول الله ( ﷺ ) إلى  
 لطائف يلتمس البصرة من ثقيف ، واسعه بهم من قومه ، ورجاء أن يقبلوا  
 منه ما جاءهم به من الله عز وجل ، فخرج إليهم وحده

قال ابن إسحاق فحدثني يزيد بن ريد ، عن محمد بن كعب القرظي  
 قال : انتهى رسول الله ( ﷺ ) إلى لطائف عند ابن نهر من ثقيف هم  
 يومئذ سادة ثقيف وأشرهم ، وهم حوثة ثلاثة : ياليل بن عمرو بن عمير ،  
 ومسعود بن عمرو بن عمير ، وحبيب بن عمرو بن عمير ، وعد أحدهم  
 امرأة من قريش من بني حمح ، فحسن إليهم رسول الله ( ﷺ ) فدعاهم إلى

( أخرجه مسلم الصلاة ) ١٥٠ ، والترمذي ( ٣٢٥٨ ) ، والبيهقي ١١١ و ١٠٩ ، وذهب  
 الرواية : ٢٣٩ ، وابن كثير ٢٧٥/٧ ، وفتح : ١٧٢/٧ و ٦٧٠ ، والإتحاف :  
 ٤٦٢/٤ ، والطبري ٢٩/٢٩ ، شرح معاني الآثار : ١٢٤/٩ ، والبديع : ٥٧/١



عداس ، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله ( ﷺ ) ثم قرأ له  
كل ، فلما وضع رسول الله ( ﷺ ) فيه يده قال « بسم الله » ثم أكل ،  
فطر عداس في وجهه ثم قال « والله إن هذا الكلام ما يقويه أهل هذه البلاد ،  
فقد قرأ رسول الله ( ﷺ ) » ومن أهل أي ابلاد أنت يا عداس ؟ وما  
ديك ؟ قال نصرني ، وأنا رجل من أهل بيوتى ، فقال له رسول الله  
( ﷺ ) « من قرية الرجل الصالح يونس بن متى ؟ » فقال عداس : وما  
يذكر بك ما يونس بن متى ؟ فقال رسول الله ( ﷺ ) . « ذلك نحيى ، كان  
نبياً وأما نبي » فأكب عداس على رسول الله ( ﷺ ) يقبل رأسه ويديه  
وقدميه ، قال : يقول ابن ربيعة أحدهما لصاحبه أما علامك فقد أفسده عبيك !  
فما جاءهما عداس فالأ له ويحك يا عداس ما لك تفعل رأس هذا الرجل  
ويديه وقدميه ؟ قال يا سيدي ما في الأرض شيء خير من هذا ، لقد أحبرني  
بأمر ما يعلمه إلا نبي ، قال له . ويحك يا عداس ! لا يصرفك عن دينك ،  
فإن دينك خير من دينه !

قال ثم إن رسول الله ( ﷺ ) انصرف من الطائف راجعاً إلى مكة ،  
حينئذ من حير ثقيف ، حتى إذا كان سحلة قام من جوف الليل يصلي ،  
فمر به النهر من الحسن الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى ، وهم فيما ذكر  
في سبعة نفر من حسن أهل بصيرين ، فاستمعوا له ، فما فرغ من صلاته  
ولمّا إلى قومهم مدرين ، قد آمنوا وأجوبوا إلى ما سمعوا ، فقصر الله حيرهم  
عليه ( ﷺ ) قال الله عز وجل :

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَهْرًا مِنَ الْحَمِيِّ يَسْمَعُونَ الْقُرْآنَ ﴾ إلى قوله تعالى .  
﴿ وَيَجْرُكُم مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ .

وقال تبارك وتعالى :

﴿ قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ ﴾ إلى آخر القصة من  
حيرهم في هذه السورة .

وقد غلّق ابن كثير في تفسيره على رواية بن إسحاق هذه فقال  
هذا صحيح ، ولكن قوله إن الحسن كان استماعهم ثلث أسنة فيه نظر ،  
فإن الحسن كان استماعهم في ابتداء الإحياء كما دل عليه حديث ابن عباس

المذكور ، وخروجه (عليه السلام) إلى الطائف كان بعد موت عمه ، ودلت قل  
الحجرة بسنة أو سنتين كما قرره ابن إسحاق وغيره ، والله أعلم .

وإذا صحب رويته ابن إسحاق عن أن الحادث وقع عقب عودة الرسول  
(عليه السلام) من الطائف ، مكسور الخاطر من التصرف اللئيم العبيد الذي واجهه  
به كبراء ثقيف ، وبعد ذلك الدعاء الكسير لودود لزيته ومولاه ، فإنه ليكون  
عجيباً حقاً من هذا الحاسب ، أن يصرف الله إليه ذلك لغير من الجن ، وأن  
يلعب ما فعلوا وما قالوا بقومهم ، وبه من الدلالات البليغة لمروحة ما فيه  
وأياً كان زمان هذا الحادث وملايساته فهو أمر ولاشت عظيم ، عظيم  
في دلالاته وفيما انطوى عليه ، وفيما أعقبه من مقابله الجن عن هذا القرآن  
وعن هذا الدين .

## موقف الجن من القرآن

قال تعالى .

﴿ قُلْ أَوْحَىٰ إِلَىٰ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قرآنًا  
عجباً . . . ﴾ (١) الآيات .

واسمر ما بين ثلاثة وأربعة كارهط ، وقيل كانوا سبعة  
وهذا الافتتاح يدل على أن معرفة النبي (عليه السلام) بأمر اسماعيل الجن له ،  
وما كان منهم بعد أن سمعوا القرآن منه كانت بوحي من الله سبحانه إليه ،  
وإخباراً عن أمر وقع ولم يعلم به الرسول (عليه السلام) وبكى الله أطلعه عليه ،  
وقد تكون هذه هي المرة الأولى ، ثم كانت هناك مرة أو مرات أخرى مرأ  
النبي فيها على الجن عن عدم وفصد ، ويشهد بهذا ما جاء بشأن قراءته  
(عليه السلام) سورة الرحمن أخرجه الترمذي بإسناده عن حابر فان حرج رسول  
الله (عليه السلام) على أصحابه فقرء عليهم سورة الرحمن في آخرها ، فسكنوا ،  
فكان : لقد قرئنا على الجن فكانوا أحسن ردوداً منكم ، كنت كلما أنيت  
على قوله تعالى ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ قالوا : لا بشيء من نعمت  
ربنا نكذب ، عند الحمد (٢) .

(١) الجن : ١٠  
(٢) أخرجه الترمذي (٣٢٩١) ، و الدر المنثور : ١٤٠/٦ ، وابن كثير ٤٦٣/٧ ، والقرطبي  
٣٧٢٦/٦ ، و دلال القرآن : ١٥٩/١٧

وهذه الرواية تؤيد رواية س مسعود التي سمت الإشارة إليها في المقدمة  
ولا بد أن هذه امرة التي تحكيها هذه لسورة هي التي تحكيها آيات  
الأحقاف

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ إِذَا قُلْنَا لَهُمْ  
خُذُوا قُرْآنَهُمْ قَالُوا أَنُصِصُوا قُلْنَا بَلَىٰ وَوَعَدْنَا لَنُؤْتِيَنَّهُمْ مَّا  
كَتَبْنَا يُتْلَىٰ لَآ أُنزِلَ مِنْ بَعْدِهِمْ مَوْسًىٰ  
مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ  
﴿٢٩﴾ يَنقُومَنَّا بِهَؤُلَاءِ آيَاتِنَا وَلِنُبَيِّنَ لَكُمْ مَن  
دُنُوكُمْ وَيُجْزَكُم مِّنْ عَذَابِ آلِ يَسْرَ ۚ ﴿٣٠﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ  
فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ  
فِي صَلَائِلٍ مُّبِينٍ ۝٣١﴾

فإن هذه الآيات كسورة نحن نسيء عن وهله المباحاة هذا القراء  
نحس ، معاجاة أطارت تماسكهم ، وررلت قلوبهم ، وهرت مشاعرهم ،  
وأطبقت في كياهم دفعة عبقة من التأثير متلاً ما كياهم كله وقاص ، فانطلقوا  
إلى قومهم بنفوس محتشدة بموجة فائضة عما لا تمك له دفعا ، ولا تمك عيه  
صبرا ، قبل أن تعقبه على الآخرين في هذا الأسلوب المتدفق ، سابغ بخبرة  
والامفعال ، وباحد والاحتفال في نفس الأوار ، وهي حالة من يعاجأ أو  
مرة بدفعة قوية ترح كانه ، ونحلحل تماسكه ، وتدفعه دفعا إلى نل ما يحسه  
إلى نفوس الآخرين في حماسة واندفاع ، وفي جد كسك واحتمال !

﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝٣٢﴾

فأول ما بدهم منه أنه « عجب » غير مألوف ، وأنه يثير الدهش في  
القبوب ، وهذه صفة لقراء عدد من يتقاه بحس ودع. وعلب مفتوح ،



ومشاعر مرهفة ، وذوق ذوق عجب ! ذو سلطان متسلط ، وذو جدية  
علانية ، وذو إيقاع يلهم المشاعر ويهر أوتار القلوب عجب ! فعلاً ، يدل  
على أن أولئك المر من الحق كانوا حقيقة يتلوقون !  
﴿ يهدي إلى الرشدا ﴾ .

وهذه هي الصفة الثانية البارزة كدست في هذا القرآن ، والتي أحسها  
المر من الحق ، حين وحدوا حقيقتها في قلوبهم ، وكنهه الرشدا في داتها دت  
دلالة وسعة يدي ، فهو يهدي إلى الهدى والحق والصواب ، ويكن كلمة  
الرشدا تلمح صلاً آخر وراء هذا كنه ، صل الصوح ولامتواء وامعرفة الرشدا  
لهدي والحق والصواب ، ظل الإدراك الداني البصير لهذه الخفايا ولقومان ،  
فهو يشيء حالة دائية في النفس تهدي بها إلى الخير والصواب

والقرآن يهدي إلى رشدا بما يشه في انقلب من تصح وحساسية ، وإدراة  
ومعرفة ، واتصال بمصدر النور والهدى ، واتساق مع التواميس الإلهية  
الكبرى ، كما يهدي إلى الرشدا بمنهج النظامي للحياة وتصريفها ، هذا منهج  
الهدى لم يلع البشرية في تاريخها كله ، في ظل حصرة من الخصاصات ، أو  
نظم من الأنظمة م بلعته في ظنه أفراد وجماعات ، فلوباً ومجمعات ، أخلاق  
مردية ومعاملات اجتماعية على السواء .

﴿ فاما به ﴾ .

وهي الانحابة المستقيمة سماع القرآن ، وإدراك طبيعته ، والناثر  
بحقيقته ؛ يعرضها الوحي على المشركين الذين كانوا يسمعون هذا القرآن ثم  
لا يؤمنون ، وفي الوقت ذاته يمسونه إلى الحق ، فيقولون كاهن أو شاعر  
أو مجنون ، وكنها صعب للحن فيها تأثير ، وهؤلاء هم الحق مهوون بالقرآن  
مسحورين متأثرين أشد التأثير ، متعلين أشد الانعاس ، لا يمكنون أنفسهم  
من امره التي ترج كباهم رجاً ، ثم يعرفون الحق ، فيسجوني به مدعين  
معلنين هذا الإدعان ﴿ فاما به ﴾ غير مكربين ما من نرسهم منه ولا  
معادين ، كما كان المشركون يفعلون !

## إيمان الجن بالله

قال تعالى

﴿ وَلَنْ نَشْرِكَ بربنا أحداً ﴾ .

فهو لإيمان الخالص الصريح الصحيح ، غير مشوب بشرك ، ولا متنس بوهم ، ولا مختلج بخرافة ، الإيمان الذي يبعث من إدراك حقيقة القرآن ، وحقيقته التي يدعو إليها القرآن ، حقيقة التوحيد لله بلا شريك

﴿ وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولداً ﴾

ولداً - خط والنصيب ، وهو العذر والقدم ، وهو السلطة والسلطان ، وكلها إشعاعات من انبساط تناسب مقام ، وتعنى لإجمالى ما فى الآية هو التعبير عن الشعور باستعلاء الله سبحانه ويعظمه وجلاله عن أن يتحد صاحبة - أى زوجة - وولداً - أى أولاد أو بنات !

وكانت العرب ترغم أن ملاحكة باب الله ، جاءته من صهر مع لحن ! فعادت لحن تكذب هذه الحرفة الأسطورية فى نسبها لله وشريه ، واستكف من هذا التصور أن يكون ! وكانت لحن حرية أن يصغر هذا الصهر الخراف الأسطورى ، وكان يشبه أن يكون ! فهي قديمة صالحة تتعلق على ذلك لرغم الوهمى فى تصورات المشركين ! وكل تصور يشبه هذه التصورات ، ممن زعموا أن الله ولداً سبحانه فى أية صورة وفى أى تصوير !

﴿ وأنه كان يقول سفيهاً على الله شططاً \* وأنا طمس أن لن نقول الإنس والجن على الله كذباً ﴾ .

وهذه مراوحة من لحن ما كانوا يسمعون من سفهائهم من اشترى بالله ، وادعاء صاحبة الولد والشريك ، بعد ما تبين لهم من سماع القرآن أنه لم يكن حقاً ولا صواباً ، وأن قائله إدب سفهاء فيهم خرق وجهل ، بهم يعلنون تصديقهم هؤلاء السفهاء من قبل بأنهم كانوا لا يتصورون أن أحداً يمكن أن يكذب على الله من إنس أو جن ، فهم يستعصمون ويستهبون أن يجروا أحد على مكذب على الله فلما قل هو سفهائهم إن الله صاحبة ولد ، ومن

به شريكاً صدقوهم ، لأنهم لم يتصوروا أنهم يكذبون على الله أبداً ، وهذا الشعور من هؤلاء المر بكاراة لكذب على الله ، هو الذى أهملهم بالإيمان ، فهو دلالة على أن قلوبهم بطيئة مستقيمة ، إذ جاءها الصلاب من العزارة وإبراءة فلما مسها الحق انتقصت ، وتذكرت ، وتدونت وعرفت ، وكان منهم من صنف بسوى ﴿ إنا سمعنا قرآنا عجياً ۝ يهتدى إلى الرشداً فآمنا به ولن نشتريك به شيئاً أبداً ۝ والله تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولداً ﴾

وهذه الانتفاضة من من الحق ، جذيرة بأن تبه قلوباً كثيرة محدوعة في كبراء قريش ، ورعمهم أن الله شركاء أو صاحبة وولداً ، وأن تنير في هذه القلوب خسر واليهظة ، والبحث عن الحقيقة فيما يقوله محمد ( ﷺ ) وما يقوه كبراء قريش ، وأن ترزق الثقة العمياء في مقالات السفهاء من الكبراء وقد كان هذا كنه مقصود يذكر هذه الحقيقة ، وكان جولة من المعركة الضوية بين القرآن وبين قريش العصبية معاندة ، وحيفة من حقائق العلاج لبطيء العقول الجاهلية وتصوراتها في سب القلوب ، التي كان الكثير منها عرا بريقاً ، ولكنه متصل مقود بالوهم والخرافة وأصاليب المصلين من القادة الجاهليين !

## الجن ليس لهم سلطان على من يعتصم بالله

قال تعالى :

﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الَّذِينَ يَبُوءُونَ بِرِجَالٍ

مِنَ الْجِنِّ فَرَادُوهُمَ رَهَقًا ۖ ۝۱۰ ﴾

وهذه إشارة من الجن إلى ما كان متعارفاً في الجاهلية وما يور منعارف إلى اليوم في يثب كثيرة - من أن لجن سلطان على الأرض وعلى الناس وأنهم قدرة على الصع والنصر ، وأنهم محكمون في مناطق من الأرض أو البحر أو نحو ، إلى آخر هذه التصورات ، مما كان يعتصم القوم إذا باتوا في فلاة أو مكان موحش ، أن يستعيدو بسيد الوادى من سفهاء قومه ، ثم يبتون بعد ذلك امين !

(١) الجن : ٦

والشيطان مُسَلِّطٌ عَلَى قُلُوبِ بَنِي آدَمَ - رَأَى مِنْ اعْتَصَمَ بِاللَّهِ فَهُوَ فِي مَحْوَ  
 مَه - وَأَمَّا مَنْ يَرْكُزْ إِلَيْهِ فَهُوَ لَا يَفْعَهُ ، فَهُوَ لَهُ عَدُوٌّ ، إِنَّمَا يَرْهَقُهُ وَيُؤْذِيهِ  
 وَهَؤُلَاءِ الصَّرْ مِنْ بَعْضِ يَحْكُومُ مَا كَانَ يَحْدُثُ ﴿١﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ  
 يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٢﴾ ، وَلَعِنَ هَذَا الرَّهَقُ هُوَ الصَّلَالُ  
 وَالْفَلَقُ وَخَيْرُهُ الَّتِي تَوَشَّى قُبُوبِ مَنْ يَكُونُ إِلَى عَدُوِّهِمْ ، وَلَا يَعْتَصِمُونَ بِاللَّهِ  
 مِنْهُ وَيَسْتَعْدُونَ ! كَمَا هُمْ مَمْرُورُونَ مِنْهُمْ دَمٌ وَمَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِبْلِيسَ  
 مِنَ الْعَدَاءِ الْقَدِيمِ !

وَالْقَلْبُ الْبَشَرِي حِينَ يَنْحَا إِلَى غَيْرِ اللَّهِ ، صَمْعًا فِي بَعْعٍ ، أَوْ دَفْعًا لِنَصْرٍ ،  
 لَا يَبَانُهُ إِلَّا الْفَلَقُ وَخَيْرُهُ ، وَقَلَهُ الْأَمْتَقَرُّ وَالصَّمْأِيَّةُ ، وَهَذَا هُوَ الرَّهَقُ فِي  
 أَسْرَأِ صَوْرِهِ : الرَّهَقُ الَّذِي لَا يَشْعُرُ مَعَهُ الْقَلْبُ بِأَمْسٍ وَلَا رَحَةٍ !  
 إِذَا كُلُّ شَيْءٍ سِوَى اللَّهِ وَكُلُّ أَحَدٍ مُتَقَلِّبٌ غَيْرَ ثَابِتٍ ، دَهَبَ غَيْرَ دَائِمٍ ،  
 فَإِذَا تَعَلَّقَ بِهِ قَلْبٌ بَقِيَ يَتَأَرْجَحُ وَيَتَقَلِّبُ وَيَتَوَقَّعُ وَيَتَوَجَّسُّ ، وَعَدَدُ يَغِيرُ اتِّجَاهَهُ  
 كَمَا دَهَبَ هَذَا الَّذِي عَقَدَ بِهِ رِجَاهَهُ ، وَلِلَّهِ وَحْدَهُ هُوَ الْبَاقِي الَّذِي لَا يَرُودُ ،  
 الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ، الدَّائِمُ الَّذِي لَا يَتَغَيَّرُ ، فَكُلُّ اتِّجَاهٍ إِلَيْهِ اتِّجَاهٌ إِلَى الْمُسْتَمَرِّ  
 لِثَابِتِ الَّذِي لَا يَزُولُ وَلَا يَحُولُ .

## دعوة الجن لقومهم

قال تعالى :

﴿ وَأَنَّهُمْ طَبَأُوا كَمَا طَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ۖ ﴾ .

يَتَحَدَّثُونَ إِلَى قَوْمِهِمْ ، عَنْ أَوْلَئِكَ الرِّجَالِ مِنَ الْإِنْسِ الَّذِينَ كَانُوا يَعُودُونَ  
 بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ ، يَقُولُونَ لَهُمْ كَانُوا يَظُنُّونَ كَمَا أَنَّكُمْ تَظُنُّونَ أَنَّ اللَّهَ  
 لَنْ يَبْعَثَ رَسُولًا ، وَنَكُنْ هَذَا هُوَ دَا قَدْ بَعَثَ رَسُولًا ، هَذَا الْغُرَابُ الَّذِي يَهْدِي  
 إِلَى الرُّشْدِ ، أَوْ أَنَّهُمْ ظَنُّوا أَنَّهُ سَيَكُونُ هَذَا بَعَثَ وَلَا حِسَابَ كَمَا صَدَّقْتُمْ  
 فَمِنْ يَعْصِمُوا بِلَا حَرَّةٍ شَيْءٌ ، وَكَذَّبُوا مَا وَعَدَهُمُ الرَّسُولُ ( ﷺ ) مِنْ أَمْرِهِمْ ،  
 لَأَنَّهُمْ كَانُوا لَا يَتَفَقَّدُونَ مِنْ قَبْلِ فِيمَا

وكلا الصبر لا يطبق على الخيفة ، وفيه جهل وقلة إدراك لحكمة الله في خلق البشر ، فقد حققهم باستعداد مردوح لسحير والشر والهدى والضللال كما يعرف من هذه السورة أن نفس هذه الطبيعة المردوجة كذلك إلا من تمحص منهم لمشر كإبليس ، وطرد من رحمة الله بمعصيته العاجزة ، وانتهى من الشر الخالص بلا اردوج ومن ثم اقتضت رحمة الله أن يعين أولئك البشر بالرسول ، يستجيثون في نفوسهم عصر الخير ، ويستقبلون ما في طورتهم من استعداد للهدى ، فلا مجال للاعتقاد بأنه لن يبعث إليهم أحد

هذا إذ كان المعنى هو بعث لرسول ، فأما بعث الآخرة فهو ضرورة كدلت لهذه لشأنة التي لا تسكمل حسابها في الحياة الدنيا ، حكمه أردها الله ، وتعمق بتسبيق للوجود يعلمه ولا يعلمه ، فجعل البعث في الآخرة لتستوى الخلائق حسابها ، وتنتهي في ما تؤهلها له سيرتها الأولى في الحياة الدنيا ، فلا مجال لبعض بأنه لن يبعث أحداً من الناس ، وهذا النص مخالف للاعتقاد في حكمة الله وكأله ، سبحانه وتعالى

وهؤلاء النفر من الخبيث يصححون لقومهم ظلمهم ، واقربان في حكايتهم عنهم يصحح للعشركين لوهمهم .

## حراسة السماء من استراق الجن السمع

يمضي الحق في حكاية ما هو وما عرفوه من شأن هذه الرسائل في جيبات الكون ، وفي أرجاء لوجود ، وفي أحوال السماء والأرض ، يفتصوا أيديهم من كل محاولة لا تنفق مع راده الله بهذه الرسالة ، ومن كل ادعاء بمعرفة العيب ، ومن كل قدرة على شيء من هذا الأمر :

﴿ وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَهَا مِلْثًا خَرَّتْ

شَدِيدًا وَشُهَابًا ۝ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمِيعِ فَمَن

يَسْمِعُ أَلاَّنَ يُجِدْ لَهَا بُرْهَانًا ۝ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ

## يَمْرِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَشْدًا ﴿١﴾

وهذه الوقائع هي حكاية انقراض عن امر من قوسم ، توحى بأهم قبل هذه الرسالة الأخيرة رى في صورة ييب وبين الرسالة التي قبلها وهي رسالة عسى عليه لسلام كانوا يحاولون الاتصال بالملأ الأعلى ، واسراق شيء مما يدور فيه ، بين الملائكة ، عن شئوب الخلائق في لأرض ، مما يكلفون قصاهه نصيلاً يشبه الله وقدره ، ثم يوحون به ثقبوه لأوبيائهم من الكهان والعرافين ، ليقوم هؤلاء بصفه الناس وفق حصة إبليس ا على أيدي هؤلاء الكهان ولعرافين الذين يسعون القبل من الحق فمرحونه بكثير من الباطل ، ويروحوه بين حماهير الناس في لغترة بين الرسلتين ، وحو الأ ص من رموز ، أم كفية هذا وصوره فلم يقل ل عب شئاً ، ولا ضرورة لتقصي ، إنما هي حجة هذه الحقيقة ومحوها .

وهذا الامر من امر يقول رب اسراق السمع لم يعد ممكناً ، وبهم حين حاولوه الآن وهو ما يعبرون عنه بلمس السماء وحدوا الصريق إليه محروماً بحرس شديد ، يرجهم بالشهب ، فنقص عنهم وقيل من توجه إليه مهم ويعسول أنهم لا يدرون شئ عن لعب لمقدر بشر ﴿٢﴾ وأنا لا يدري أشير أريد بمن في الأرض أم أراد بهم رهم رشداً ﴿٣﴾ ، فهذا لعب موكور يعلم الله لا يعلمه سواه ، فأم نحن فلا نعم ماذا قدر الله لعباده في الأرض قدر أن يزل بهم الشر ، فهم متروكون لفضلال ، أم قدر لهم الرشداً - وهو هداية وقد جعلوه مقدمة بشر ، فهي الخير ، وعاقبتها هي الخير

وإذا كان المصدر الذي يرغم الكهان أنهم يستقون منه معلوماتهم عن اللعب ، يقرر أنه هو لا يدري عن ذلك شئ ، فقد انقطع كل قوس ، وبطل كل رعم ، وانتهى أمر الكهنة وعرافة ، وتمحص اللعب لله ، لا يجترئ أحد على القوس بمعرفته ، ولا على النبؤ به ، وأعس لقر ب تحرير العقل البشري من كل وهم وكل رعم من هذ السيل ا وأعلن رشداً لبشرية مد ذلك اليوم وتحررها من الخرافات والأساطير ا

أما أين يقف دست الحرس ؟ ومن هو ؟ وكف يرحم شياطين  
بالشهب ؟ هذا كله لم يقل ، عنه القرآن ولا الأثر شيئاً ، وليس لما مصر  
سواء ستمى من عن هذا العيب شيئاً ، ولو علم الله أن في تفصيله خير  
لنا فعل ، وإذا لم يفعل فمحاولنا نحن في هذا الاتجاه عبث ، ولا يصيب في  
حياتنا ولا إلى معرفتنا المثمرة شيئاً !

ولا محال كذلك للاعتراف أو لحدس حول الشهب ، وإنما نسير وفق  
نصم كوني ، قبل البينة وبعدها ووفق موسى يحاور علماء الهند تفسيره  
بفرضيات تحصى ونصب ، وحتى على فرض صحة هذه النظريات فإن هذا  
لا يدل على موضوعنا ، ولا يمنع أن ترجع الشياطين هذه الشهب عند  
صلاقتها ، وأن تصنع هذه الشهب رجوماً وغير رجوم وفق مشيئة الله التي  
يجري عليها القلوب !

فأما الذين يرون في هذا كله مجرد تمثيل وتصوير لحفظ الله لذكر من  
لأساس بأي باطل ، وأنه لا يجوز أن يؤخذ على صاهره ؛ حسب هذا عدمهم  
أنهم يجنبون إلى القرآن بتصورات مقرره سابقة في أذهانهم ، أعدوها من مصادر  
أخرى غير القرآن ، ثم يحاولون أن يفسروا القرآن وفق تلك التصورات السابقة  
المقررة في أذهانهم من قبل ، ومن ثم يرون الملائكة تمثيلاً لقوة الخير والصدقة ،  
والشياطين تمثيلاً لقوة الشر والنعصه ، والرجوم تمثيلاً لدممط والصيدنة  
بح ، لأن في مقرراتهم السابقة قبل أن يواجهوا القرآن - أن هذه  
السميات الملائكة والشياطين أو الحرس - لا يمكن أن يكون لها وجود بحسب  
على هذا النحو ، وأن تكون هي هذه التحركات الحسية والتأثيرات الواقعية !  
ومن أين جاءوا بهذا ؟ من أين جاءوا بهذه المقررات التي يحاكمون إليها  
نصوص القرآن والحديث ؟

إن الطريق الأمثل في فهم القرآن وتفسيره ، وفي لنصور الإسلامية  
وتكوينه ، أن ينقص الإنسان من ذهنه كل تصور سابق ، وأن يواجه القرآن  
بغير مقررات تصورية أو عقبية أو شعورية سابقة ، وأن يبني مقرراته كلها  
حسباً بصور القرآن والحديث حقائق هذا لوجود ، ومن ثم لا يحاكم القرآن  
والحديث لغير القرآن ، ولا يسمي شيئاً يشبه القرآن ولا يحولهُ ! ولا يثبت شيئاً

بعمية القرآن أو يعضه ، وما عدا ذلك ثبت والمضى في القرآن ، هله أن يقول هيه  
ما يهديه إليه عقده وتجرته

يقول هده بطبيعة الحال للمؤمنين بالقرآن ، وهم مع ذلك يقولون بصوحه  
هده بتواتر مقررته سابقة في عقولهم ، وتصورات سابقة في أذهانهم ما ينبغي  
أن تكون عليه حقائق الوجود .

فأما الذين لا يؤمنون بهذا القرآن ، ويعتسمون بفي هده التصورات مجرد  
أن العلم م يصل إلى شيء منها ، فهم مصحكون حقاً ! فانهلم لا يعلم أسرار  
بوجودات الظاهرة بين يديه ، والتي يستخدمها في تجاربه ، وهده لا ينبغي  
وجوبها طبعاً ! فضلاً على أن العلماء الحقيقين أحدثت كثرة منهم يؤمن  
بالمجهول على طريق المتدينين ، أو على الأقل لا يكرون ما لا يعلمون ! لأنهم  
بالتجربة وجدوا أنفسهم عن طريقة العلم ذاته أمام مجاهيل فيما بين أيديهم  
لما كانوا يحسبون أنهم فرغوا من الإحاطة بعلمه ! فتواضعوا ، تواضعوا علمياً بيبلاً  
يست عليه سمه الادعاء ، ولا طامع التطاول على المجهول ، كما يتطاول مدعو  
العلم ومدعو التفكير العلمي ، ممن يكرون حقائق الديانات ، وحقائق  
المجهول !

إن نكون من حولنا حائل بالأسرار ، عامر بالأرواح ، حاشد بالقوى ،  
وهده السورة من القرآن - كغيرها - تمسحاً جوانب من الحقائق في هده  
الوجود ، تعين على بناء تصور حقيقي صحيح للوجود وما فيه من قوى  
وأرواح وحيوانات تعج من حولنا ، وتفاعل مع حياتنا ودواتنا ، وهده التصور  
هو الذي يميز النسم ويقف به وسطاً بين الوهم والخرافة ، وبين الادعاء  
والتطاول ، ومصدره هو القرآن والسنة ، وإلهما يحاكم النسم كل تصور آخر  
وكل قول وكل تفسير

وإن هذالك محالاً لعقل البشري معيلاً إلى ارتداد آفاق المجهول . والإسلام  
بدفعه إلى هده دفعا ، ولكن وراء هده المحال المعين مالا قدرة مدد العقل على  
ارتياده ، لأنه لا حاجة به إلى ارتياده . ومالا حاجة له به في خلافة الأرض  
ولا مجال له إليه ، ولا حكمة في دعائه عليه ، لأنه ليس من شأنه ، ولا داخل  
في حدود اختصاصه ، والقدر الضروري له منه ليعلم مركزه في الكون بالقياس



إلى ما حوله ومن حوله ، قد تكمل الله سبحانه بيبانه له ، لأنه أكبر من طاقته ،  
وبالقدر الذى يدخّل في طاقته . ومنه هذا العيب الخاص بالذلائكة والشياطين  
والروح والمشيأ والمصير .

فأما الذين اهتدوا بهدى الله ، فقد وقفوا في هذه الأمور عند القدر لدى  
كشفه لله هم في كتبه وعلى لسان رسوله ، وأفادوا به الشعور بعظمة الخالق ،  
وحكمته في الخلق ، والشعور بموقف الإنسان في الأرض من هذه لعوالم  
والأرواح ، وشعلوا طاقهم العقليه في الكشف ، واعلم المهيأ لعقل في حدود  
هذه الأرض وما حوفا من أحرام بالقدر الممكن لهم ، واستعنوا بما علموه في  
العمل والإساح وعمرن هذه الأرض والقيام بالخلافة فيها ، على هدى من  
الله ، متجهين إليه ، مرتفعين إلى حيث يدعوهم للانتصاع .

وأما الذين لم يهتدوا بهدى الله فانقسموا فرقتين كبيرتين .

فرقة ظلت تجاهد بعقولها الضعوفة لإدراك غير المحدود من ذاته تعالى ،  
والمعرفة الحقيقية النجية عن غير طريق الكتب المشرية ، وكان منهم فلاسفة  
حاولوا تفسير هذا الوجود وأربطاته ، فملوا يتعشرون كالأطلال الذين  
يصعدون جبلاً شاهقاً لا غاية بقمته ، أو يحاولون حل لمر الوجود وهم لم  
يتفوا بعد أمجدية المجاء . وكانت لهم تصورات مضحكة - وهم كبار  
فلاسفة مضحكة حقاً حين يقرها الإنسان إلى التصور الواضح المنسجم  
الحميل الذى يشع القرآن ، مضحكة بعقائدها ، ومضحكة بمعارفها ،  
ومضحكة بتجربتها ، ومضحكة بفراستها بالقياس إلى عظمة الوجود الذى  
يعسرونه لا أستنى من هذ فلاسفة الإغريق الكبار ، ولا فلاسفة المسلمين  
الذين قندوهم في مهبج التفكير ، ولا فلاسفة العصر الحديث ! ودلت حين  
يقاس تصورهم إلى التصور الإسلامى للوجود .

فهذه فرقة . فأما الفرقة الأخرى ، فقد عشت من حدود هذا الاتجاه  
في المعرفة ، فعذلت عنه إلى حصر نفسها وجهدها في العلم التحريبي  
والنصفي ، صلبة صمغاً عن الجهول ، لدى ليس إبه من سبل ، وغير  
مهتدية به بهدى الله ، لأنها لا تستطيع أن تدرك الله ! وهذه الفرقة كانت  
في أوج عنايتها خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، ولكنها أهدت

من مطلع هذا القرن تفيق من العرور العنمي الجامع ، على هروب المادة من بين نسيها ونحوها بن شعاع « مجهول الكنه » وبكاد يكون مجهول القبول ' وبقي لإسلام ثابتاً على صحته ليقر ، كبح لشر من مجهول بقدر مدى صم فيه حجر ، ويوفر طاقهم العفنة بعمل في حلافه لأمر ، وبهيء لعقوبهم لحال الذي تعمل به في من ، وبهم سبي هي أقوم في المجهول وغير المجهول !

## طبيعة الجن في الاستعداد للهدى والضلال

أحد الجن يصفون حالهم وموقعهم من هدى الله ، بما بهم منه أن لهم طبيعة مردوخ كطبيعته الإنسان في الاستعداد للهدى والضلال ، ويحدثنا هذا الأمر عن عقيدتهم في ربهم وقد موته ، عن طبيعتهم بعائنه من يهدى ومن يصل

﴿ وَأَمَّا الضَّالُّونَ ﴾

وَمَّا دُونَ ذَلِكَ كَمَا طَرِيقٌ قَدَرًا ﴿١١﴾ وَأَنْ طَسَّ أَنْ لَنْ نَعْجِرَ  
 اللَّهُ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نَعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا  
 يَدْعُو إِلَى بَيْتٍ ذِي بَابٍ فَلَمَّا خُصَّ إِلَيْنَا نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿١٣﴾  
 وَأَمَّا لِمُتَّبِعِيهِمْ وَمِمَّا قَلَّ يَسْمَعُونَ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ  
 نَحْنُ نَرَى الْإِنْسَانَ كَمَا طَرِيقٌ قَدَرًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِيَتُونَ فَمَا لَهُمْ حُصْنًا ﴿١٥﴾

وهذا التقرير من الجن بأن بهم صاحبين وغير صاحبين ، مسلمين وفاسقين ، يبعد اردواح طبيعة الجن ، واستعدادهم للهدى والضلال كالإنسان إلا من يخص بشر منهم وهو يبيس وتبينه وهو بغير ذو شمية ناعمة في نصحيح تصورات لعام عن هدى الجن ، فاعجب حتى الدرسين الماقيين على اعتقاد أن الجن يمثلون بشر ، وقد حنصت طبيعتهم ، وأن الإنسان وحده بين الخلائق هو ذو الطبيعة اردوخية . وهذا شيء من مقررات سابقة في

مصوراتنا عن حقائق هذه الوجود كما نُسَمِّعُ ، وقد آن برأى على مفرات  
القرآن الصحيحة !

وهذه سفر من الحسن يقول ﴿ وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ وَمَا دُونَ ذَلِكَ ﴾ .  
ويصف حاشم بصفة عامة ﴿ كُنَّا طَرِيقَ قَدَا ﴾ أى لكل ما طريقته  
المنعصبة النقودة اسقطعة عن طريقة العريق الآخر .

ثم بين المر معتقدهم الشخص بعد إيمانهم

﴿ وَأَنَا ظَنَّا أَنْ لَنَا نَعْجَرُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نَعْجُرَهُ هَرَبًا ﴾

فهم يعرفون قدره الله عندهم في الأرض ، ويعرفون عجزهم عن الهرب  
من سلطانه سبحانه وإفلات من قبضته ، والفتك من قدره ، فلا هم  
يعجزون لله وهم في الأرض ، ولا هم يعجزونه بالهرب منها وهو ضعف  
لعدم أمام الرب ، وضعف الحق أمام الخلق ، والنعور بسلطان الله القاهر  
لغالب

وهؤلاء الحسن هم الذين يعود بهم . حال من الإنس ! وهم الذين يستعين  
بهم الإنس في الخواص ! وهم الذين جعل المشركون بين الله سبحانه وبينهم  
سباً ! وهؤلاء هم يعرفون بعجزهم وقدره الله ، وضعفهم وقوة الله ،  
وانكسارهم وقهر الله ، فيصحبون ، لا لقومهم محسب بل للمشركين  
كذلك ، حقيقة القوة الوحده العلية على هذا الكون ومن فيه

## ثقة الجن بالله

ثم يصفون حالهم عند سمعوا الهدى ، وقد فرُّوه من قبل ، ولكنهم  
يكرهون ما سمعوا به حديث عن فرقتهم وطوئتهم تجده الإيمان .  
﴿ وَأَنَا مَا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَا بِهِ ﴾ .

كما معنى لكل من يسمع هدى ، وهم سمعوا القرآن ، ولكنهم يسمونه  
هدى كما هي حقيقة ونتيجته ، ثم يعرفون ثقتهم في ربهم ، وهي ثقة المؤمن  
في مولاه :

﴿ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِهِ فَلَا يَخَافُ تَحْشَا وَلَا رَهَقًا ﴾

وهي ثقة المصطفى في عدل الله وإلى قدرته ، ثم إلى طبيعة الإيمان

وحقيقته ، والله سبحانه عاقل ، ولن يحسن المؤمن حقه ، ولن يرهقه بما فوق  
طاقته ، والله سبحانه قادر ، فسيحمي عبده المؤمن من البسوس وهو بقصر  
الاستحقاق إصلاً ، ومن الرهق وهو الجهد والمشقة فوق الطاقة ، ومن ذا  
الذي يملئ أب يحسن المؤمن أو يرهقه وهو في حماية الله ورعايته ؟ ولقد يقع  
بمؤمن حرمان من بعض أعراض هذه الحياة الدنيا ، ولكن هذا ليس هو  
البسوس ، فالعوض عما يُحرّمه بها يجمع عنه البسوس ، وقد يصيبه الأدنى من  
قوى الأرض ، لكن هذا ليس هو الرهق ، لأن ربه يدركه بطاقة تحمّل الألم  
وتعيد منه وتكرّ به ! وصلته ربه هوّ عبه المشقة فتمحصها خيره في الدنيا  
والآخرة .

المؤمن إدار في أمن نفسه من البسوس ومن الرهق : ﴿ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا  
وَلَا رَهَقًا ﴾ ، وهذا الأمن يولد الطمأنينة والراحة طوال فترة العافية ، فلا  
يعيش في قلق وتوجس ، حتى إذا كانت الصراء لم يهتج ولم يجرع ، ولم يعلق  
على نفسه اسفاد إنما بعد الصراء ابتلاء من ربه يصبر به فيؤجر ، ويرجو فرح  
الله منها فيؤجر ، وهو في الخالي لم يخف بخساً ولا رهقاً ، ولم يكابد بخساً  
ولا رهقاً

وصدق النعم المؤمن من الخس في تصوير هذه الحقيقة المبررة

## تصور الجن لحقيقة الهدى والضلال

ثم يقررون تصورهم لحقيقة الهدى والضلال ، ولجاء على الهدى  
والضلال :

﴿ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ  
تَحَرُّوْا رَشَدًا ۖ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۖ ﴾

والقاسطون الخائرون محابيون بعدن والصلاح وقد جعلهم هذا الصر  
من عن فريقاً يقبل المسمين ، ول هذا إيماء لطيفة ببيعة المدبول فاستم  
عادل مصلح ، يقابله القاسط : الخائر المفسد .

﴿ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرُّوْا رَشَدًا ﴾ ، والتعير بمعظمه تحرر ، يوحى بأن الاهتداء إلى الإسلام معناه الهدى في صلب الإرشاد والاهتداء - صد لى والصلال - ومعناه تحرى بصواب واحتتار عن معرفة ومصدق بعد تبيين ووضوح ، وليس هو حبط عشواء ولا سباقاً بعير إدراك ، ومعناه أنهم رصنوا فعلاً إلى الصواب حين اختاروا الإسلام ، وهو معنى دقيق وجميل

﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ ، أى تقرر أمرهم وانتهى إلى أن يكونوا حطباً لجهم ، تنطى بهم وترداد اشتعالاً ، كما تنطى النار بالحطب ..

ودل هذا على أن الجن يعدون بالنار ، ومعهم أنهم كذلك يعمون بالحنة ، هكذا يوحى النص القرآنى ، وهو الذى يستمد منه صورنا ، وليس نقائل بعد هذا أن يقول شيئاً يستند فيه إلى تصور غير قرآنى ، عن طبيعة الجن وطبيعة النار أو طبيعة الجنة ، فيكون ما قاله الله حقاً بلا جدال

وما يطبق على الجن مما ينسب لقومهم ، يطبق على الإنس وقد قاله لهم الوحي ينسب إليهم .

## مقالة الجن عن فعل الله مع الذين يستقيمون

ولهى هذا كان لوحى يحكى قول الجن بأنهم عن إبشارة عن أنفسهم ، ثم عدل عن هذا السق إلى تلخيص مقالة بهم عن فعل الله مع الذين يستقيمون على الطريقة إليه ، وذكرها بفحواها لا بألفاظها

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِيَهُمْ نَاءً عَذْقًا ۖ لَنُفِثَهُمْ

فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ۝ ١٧ ﴾

يقول الله سبحانه إنه كان من مقالة الجن عنا ما محوه أن لناس من استقاموا على الطريقة ، أو أن لقاسطين من استقاموا على الطريقة لأسقيهم من ماء موفوراً بقدرة عليهم ، فيمضون عليهم بالرق والرحاء ﴿ لنفثهم فيه ﴾ وبثليهم أيشكرون أم يكفرون .

وهذا العنود عن حكمة قول الحق في ذكر فحوى قلوبهم في هذه النقطة ، يريد مديونها بأكبر نسبة لإحبار فيها ونوعه إلى الله سبحانه ، ومثل هذه القصاص كثير في الأسلوب القرآني ، لإجاء المعنى ونهوتها وزيادة لانتباه إليها .

وهذه النعمة تحتوي حمده حمدتق ، مدح في تكوين عظمه المؤمنين ، وبصوره عن مجربات الأمور وارتباطاتها .

**والحقيقة الأولى** هي الارتباط بين سقمة الأمم والجماعات على الطريقة الواحدة الواصلة إلى الله ، وبين وعد في الرجاء ونسبته ، وأول أسبابه توافر الماء واعدودافه ، وما تزل الحياة تخرى على خطوات ماء في كل بقعة ، وما يرب الرجاء يتبع هذه الخطوات المباركة حتى هد العصر الذي ينتشرت فيه الصناعة ، ولم نجد الرزاعه هي مصدر الوحيد للرزق والرجاء ، ولكن الماء هو الماء في أهميته العمرانية .

وهذا الارتباط بين الأسقام على الطريقة وبين الرجاء والتكليف في الأرض حقيقة قائمة ، وقد كان العرب في جوف الصحراء يعيشون في شظف ، حتى استقاموا على الطريقة ، ففتحت لهم لأرض التي يعدودف فيها الماء ، وتدفق فيها الأرزاق ، ثم حادوا عن الطريقة ففسد بهم حيرتهم سلباً ، وما يرانول في نكد وشظف ، حتى يهتد إلى الطريقة ، فيحقق فيهم وعد الله .

وبدا كانت هناك أمة لا تستقيم على طريقة الله ، ثم تنال الوهر والمعنى ، فإنها بعدت بهارات أخرى في إنسانيتها أو أمها أو قيمه الإنسان وكرامته فيها ، يتسلب عن ذلك المعنى والوهر معنى الرجاء ، وتقبل الحياة فيها لعمه مشغومة على إنسانية الإنسان وحلقه وكرامته وأمه وطماأيته .

**والحقيقة الثانية** التي تسبق من نص هذه الآية هي أن الرجاء يتلاءم من الله بلعباد وفضة ، وسلوكم بالشر والخير فضة ، والصبر على الرجاء والقسم بوجوب الشكر عليه والإحسان فيه أشق وأندر من الصبر على الشدة ! على عكس ما يلوح لمظرة العجلى ، فكثيرون هم الذين يصبرون على الشدة ويهاشكون لها ، يحكم ما تثيره في نفس من تجمع ويقطة ومقومة ، ومن

ذكر الله والتجاء إليه واستعانة به ، حين سقط لأسد في الشدة فلا يقوى إلا ستره ، فما لرحاء فيسى وينهى ، ويرجى الأعضاء ويمع عناصر تقاومه في النفس ، ويهيء الفرصة للفرور بالنعمة والاستدانة بشيطان !

إن الابتلاء بالنعمة في حاجة منحة إلى يقظة دائمة تعصم من همة نعمة الله والرق كثير ما تقود إلى فتنة البصر وهمة الشكر ، مع سرف أو مع البخل ، وكلاهما آفة لنفس والحياة ، ونعمه لقوه كثير ما تقود إلى فتنة البصر وقه الشكر مع الطعيب وخور ، والتطاول بالهوة على الحق وعلى الناس ، ولهبهم على حرمت الله ، ونعمه حمد كثير ما تقود إلى فتنة الخيلاء والنية وتترى في مديونيات لإثم والعبوية ، ونعمة الذكاء كثير ما تقود إلى فتنة معرف ور ولاستحقاف بالآخرين وبالعلم وموريه ، وما تكاد تحبو نعمة من همة إلا من ذكر الله فعصمه الله .

**والحقيقة الثالثة** أن الإعراض عن ذكر الله ، الذي قد انتهى إليه فتنة الابتلاء بالرحاء ، مؤد إلى عذاب الله ، والص يدكر صفة بعداب ﴿ يسلكه عذاباً صعداً ﴾ توحى بالمشقة من كل الذي يصعد في المرتفع يجد مشقة في التصعيد كما تصعد ، وقد درج لقرآن على الرمر بالمشقة بالتصعد ، فجاء في موضع . ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء ﴾ وجاء في موضع ﴿ سأرهقه صعوداً ﴾<sup>٢</sup> ، وهي حقيقه مدية معروفة ، والتقابل واضح بين الفتنة بالرحاء وبين العذاب الشاق عند الجراء !.

والآية شائعة في السياق يحور أن تكون حكمة لقول الحق ، ويحور أن تكون من كلام الله ابتداء

﴿ وَأَنَّ الْمَسَاحِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾<sup>(٣)</sup>

غير كاتب الآية من مقولات الحق فهي توكيد ما سبق من قوهم ﴿ ولئن شريك ربنا أحد ﴾ في موضع خاص ، وهو موضع العبادة والسجود ، وإن كانت من قول الله ابتداء ، فهي توجب بمناسبة مقالة الحق وتوحيدهم لهم ، يهيء في موضعه على طريقة القرآن ..

## حال الجن حين اجتماعهم على الرسل

قال تعالى :

﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ۖ ﴾

أي مجتمعين متكئين عليه ، حين قدم يصرخ ويدعو ربه والصلاة معاها في الأصل النداء

ورد كانت من مقولات آخر ، فهي حكاية منهم عن مشركي العرب ، الذين كانوا يجمعون قباب حول رسول الله ( ﷺ ) وهو يصلي أو وهو يتلو القرآن كما قال في سورة المعارج : ﴿ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مَهْطَعِينَ ۚ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عَرِيضِينَ ۚ ﴾ ، يسمعون في دهش ولا يسحبون ، أو وهم يجمعون لإيقاع لأدى به ، ثم يعصمه الله منهم كما وقع ذلك مرراً ، ويكون قلوب الجن هه لقومهم لتعجب من أمر هؤلاء المشركين !

ورد كتاب من خبر الله ابتداء ، فقد تكون حكاية عن حال هذا الصر من آخر ، حين سمعوا العرب لعجب فاجدوا وذهشوا ، وكأفكوا على رسول الله ( ﷺ ) بعضهم تصق بعض ، كما تكون لديه الصوف انسوق شعرها ، بعضه تصق بعض ! ولعل هذا هو لأقرب مدلول الآية لانساقه مع العجب وندھشة والارتياح والرهبة الدنية في مقابلة جن كلها ، والله أعلم

## طبيعة الإنسان وطبيعة الجن

قال تعالى

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ ۖ ﴾

مِنْ صَلَاسِلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالْحَاثَّ خَلَقَهُ مِنْ قُلٍّ مِنْ نَّارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾



يُقرَّر سبحانه اختلاف الطييعتين بين الصنصن - وهو الطين اليابس الذي يصلصل عند نقره ، انحد من الطين الرطب لآس - وبار الموسومة بأنها شعواء مسامة - نار السموم - وفيه بعد مسعم أن طبيعة الإنسان قد دخل فيها عنصر جديد هو النخعة من روح الله ، أما طبيعته الخاها فقيس من نار السموم .

فأما حتى الإنسان من صنصن من حمأ مسول والنمق به من روح الله فكيف كان ؟ فهو ما لا ندري كيفيته ، ولا سبيل إلى تحديد هذه الكيفية بحال من الأحوال

وقد يقر بالإحانة إلى نصوص الغراب الأخرى في هذه القصيدة ، وبخاصة قوله . ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ﴾<sup>(١)</sup> وقوله . ﴿ وبدأ خلق الإنسان من طين ﴾ ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ﴾<sup>(٢)</sup> أن أصل الإنسان وأصل الحياة كلها من طين هذه الأرض ، ومن عناصره الرئيسية التي تشمل بدائها في تركيب الإنسان الخسدي وتركيب الأحياء أجمعين ، وأن هذات أطواراً بين نطين والإنسان تشير إليها كلمة « سلالة » ، وإلى هنا وتنتهي دلالة النصوص ، بكل زيادة تحمل عليها صرب من التمحل بين القرآن في حاجة إليه ، ونبحث النعمى أن يعضى في طريقه بوسائله الميسرة له ، فيصل إلى ما يصل إليه من فروص ونظريات ، يحقق منها ما يجد إلى تحقيقه سبيلاً مصمومة ، ويدرس منها ما لا يشب على البحث والتحصيل ، غير متعارض في آيه نتيحه يحققها مع الحقيقة الأولية التي نصمها القرآن ، وهي ابتداء خلق هذه السلالة من عناصر الطين ودحول الماء في تركيبها على وجه اليقين .

فأما كيف ارتقى هذا الطين من طبيعته العنصرية المعروفة إلى أفق الحياة لعنوية أولاً ، وإلى أفق الحياة الإنسانية أخيراً ؟ فهذا السر الذي يعجز عن تعليمه البشر أجمعون ، وما يرال سر الحياة في الخلية الأولى حافياً لا يرعم أحد أنه اهتدى إليه ، فأما سر الحياة الإنسانية العليا بما فيها من مدارك وإشراقات وطاقت متميرة على الخلائق الحيوانية جميعاً ، فوق حاسماً فاصلاً مد بدء ظهور الإنسان ، فأما هذا السر فما يرال النظريات تحبط حوله ولا

(١) المؤمنون ١٢ . (٢) السجدة ٧ - ٨

تمتلك الآن أن تنكر تفرد الإنسان بخصائصه من شأنه كما أنها لا تمتلك أن تثبت الصلة لمباشرة بينه وبين أى كائن قبله ، مما يرسم بعضها أن الإنسان « تطور » عنه ، كما أنها لا تمتلك سوى الاحتمال الآخر وهو نشأة لأجناس معصية من البدء وإن كان بعضها أرق من بعض ثم نشأة هذا الإنسان منفرداً من البدء أيضاً ونقول الكرم يُفسَّرُ لنا ذلك التفرد ، هذا التفسير المحض بواضح البسيط :

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوْحِي .. ﴾<sup>(١)</sup>

لهى روح الله تقل هذا لتكوين لعصوى الوصيع إلى ذلك الأفق الإنسانى الكريم ، من بدء التكوين ، ويحمله ذلك الحق المتفرد الذى توكل إليه الخلافة فى الأرض بحكم تفرد خصائصه من بدء التكوين .  
كيف ؟ ..

ومنى كان فى نطاق هذا المخلوق الإنسانى أن يدرك كيف يفعل الخالق العظيم ؟

وهو يصل إلى الأرض بصلبة التى ستوى عليها مطمحين

قد كان حق الشيطان - من قبل من در السموم ، فهو سابق إذن للإنسان فى الخلق ، هذا ما نعلمه ، أما كيف هو وكيف كان حقه ، فذلك شأن آخر ، ليس بنا أن نحوص فيه ، إنما ندرك من صفاته بعض صفات در السموم ، ندرك من صفاته التأثير فى عناصر الطين بحكم أنه من النار ، والأدى والمسرعه فيه بحكم أنها در السموم ، ثم تكشف لنا من ثديا البصنة صفة لعرور ولاسكبار ، وهى تست بعيدة فى التصور عن صيغه اندر !

ونقد كان خلق الإنسان من عناصر هذا الطين المزج المتحول إلى صلصال ثم من الصفحة العنوية التى فرقت بينه وبين سائر الأحياء ، ومسحته خصائصه الإنسانية ، التى أفردته من شأنه عن كل الكائنات حية ، فسلك طريقاً غير طريقها من الابتداء بينا بقيت هى لى مستوها الحيوانى لا تتعداه !

هذه الصفحة التى تصبه بطلاء الأعلى ، وجعله أهلاً لاتصاف بالله ، وسلقى

عنه ، ولتحاور الصفاق انادى لدى تتعامل فيه العصابات وخواص ، إلى النطاق لتجريدى اندى تتعامل فيه القنوب والعقوب ، والتي سمحه ذلك السر لخمى لدى يسرب به وراء الرمد والمكاب ، ووراء طاقه العصابات والخواص ، إلى ألوان من المدركات وألوان من التصورات غير محدوده في بعض الأحيان

ذلك كنه مع ثقله الطين في طبعه ، ومع حصوعه لضرورات الطين وحاجاته من طعام وشرب ولباس وشهوات وروا ، ومن ضعف وقصور وما يشتهه الضعف والقصور من تصورات وبرعات وحركات ، وهذا مع أن هذا الكائن « مركب » لا طبيعة « المخلوط » أو « المروح » ، ولابد من ملاحظه هذه الحقيقه ودقه تصورها كلما تحدثنا عن تركيب الإنسان من لطين ومن الصفحه العلويه التي جعلت منه هذا مخلوق الفريد التكوين - إنه لا انقسام بين هذين الأفقين في تكوينه ولا تصرف لأحدهم بدون الآخر في حالة واحدة من حالاته ، إنه لا يكون طيباً حالصاً في لحظه ، ولا يكون روجاً حالصاً في لحظه ، ولا يتصرف بصرفاً واحداً إلا بحكم بركبيه لدى لا يقع فيه الانفصال !

والثور بين حصائص العناصر الطيبية فيه والعناصر العلوية هو الأفق الأعلى اندى يطلب إليه أن يبعه ، وهو الكمال البشرى المقدر به ، فيس مطلوباً منه أن يتحلى عن طبيعة أحد عنصريه ومطالبه ليكون ملكاً أو لكون حيواناً ، وليس واحد منهما هو الكمال استود للإنسان ، ولا ارتفاع لدى يحل بالتورن المطبق بعض بالقياس إلى هذا المخلوق وحصائصه لأصينة ، والحكمة التي من أجلها خلق على هذا النحو الخاص .

واندى يحاور أن يعطل صافاته الحسدية الحيوية هو كاندى يحاور أن يعطل طاقاته الروحانية لطيفه كلامهم يخرج على سوء فطرته ، ويريد من نفسه ما يردده الخلق به ، وكلاهما يُدمر نفسه بتدمير ذلك المركب في كياها الأصل ، وهو محاسب أمام الله على هذا التدمير ،

من أجل ذلك أنكر الرسول ( ﷺ ) على من أراد أن يترهب فلا يهرب النساء ، ومن أراد أن يصوم الدهر فلا يطر ، ومن أراد أن يقوم الليل فلا

بإمام ، أسكر عليهم كما ورد في حديث عائشة رضي الله عنها وقال : « فمن رعب عن سنتي فليس مني »<sup>١</sup> .

وقد أقام الإسلام شريعته للإنسان على أساس تكويبه ذلك ، وأقام به عليها نظاماً بشرياً لا تدمر فيه حدته واحدة من طاقات لبشر ، إلى قصارى هذا النظام أن يحقق التوازن بين هذه الطاقات ، لتعمل جميعها في غير طغيان ولا ضعف ، ولا اعتداء من إحداها على الأخرى ، فكل اعتداء يقا به تعطل ، وكل طغيان يقا به تدمير ، والإنسان حفيظ على خصائص فطرته مسئول عنها أمام الله ، ومنظم مدى يقيمه الإسلام لئلا ينحرف على هذه الخصائص التي لم يهبها الله جراحاً للإنسان .

والذي يريد قتل أسوار الفطرية الحيوانية في الإنسان يدمر كيانه ختفرد ، ومثله الذي يريد قتل أسوار الفطرية الخاصة بالإنسان دون الحيوان من الاعتقاد في الله والإيمان باللعب الذي هو من خصائص الإنسان ، والذي يسلب الناس عقائدهم يدمر كسوتهم البشريه ، كالذي يسلب الناس صدمهم وشراهم ومطنتهم حيوية سوء ، وكلاهما عدو « للإنسان » يجب أن يطارده كما يطارد الشيطان !

إن الإنسان حيوان وريادة ، لله مثل مطالب الحيوان ، وله ما يقابل هذه الريادة ، ويبست هذه المطالب دون هذه هي « مطالب الإنسانية » كما يرغم أعداء الإنسان من أصحاب المذهب المادية « العنمية » .

هذه بعض الحواطر التي تصطبها في النفس حقيقة تكوين الإنسان . كما

١ أخرجه الطبراني ٣٢٠٢ و مشكل الآثار ٨٨٢ ، و صحيح ، ٢٥٩٢ ، و الأثر ، (٥٣٨٣)

وأخرجه بلهظ ، من رعب عن سنتي فليس مني ، البخاري ٢/٢٧ ومسم (الكاح ٥ ، ونسائي (الكاح) ب ٤ ، ومحمد ١٥٨/٢ و ٢٤١/٣ و ٢٥٩ و ٢٨٥ و ٤٠٩/٥ ، والدرمي ١٣٣/٢ ، والبيهقي ٧٧/٧ ، و الدر المنثور ١٧/٢ و ٣٠٧ ، و الإصحاح ٥٤/٥ و ١٦٠ و ٢٨٦ و ٢٩٥/٧ و ٤٠٥ و ٤٠٦ و ٣٥١٩ ، و العقب والنصف ١٤٤١ ، و ترغيب ، ٨٧١ ، و المعنى عن حق الأسفار ٣٤٩١ و ٩٢/٢ ، و مشكل الآثار ١٣٦٢ ، و مشك ٣٧٢ ، والطبراني ٧/٧ ، و القرطبي ١٩/٢ و ٣٢٨٩ و ١٨٨٧ ، وابن جرير (١٩٧) والخطيب ٣٣٠/٣ و الحية ٣٢٨٣ ، وابن أبي عمير ٣١١ وابن كثير ١٦٠/٢ و ٣٨٩ وغيرهم

يقررهما ، انقرن ، يمر بها سراعاً ، حتى لا يوقف تدفق النص المرآني في عرص  
مشاهد القصة الكبرى ، راجع أن يعود إليها ببعض التعقيبات في هاها

نقد قال الله للملائكة : ﴿إِنِّي خَلِيقٌ بِشْكْرٍ مِّنْ

صَلَّيْتُمْ عَلَيَّ مِنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ

رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾

وقد كان ما قناه الله ، فقوله بعد إرادة ، وتوجه الإرادة بشيء الخلق  
لمراد ، ولا يملك أن يسأل كيف ينسب بصفة الله الأثرى الباق بالصنصال  
المعقود المعاني ، والحدود على هذا لسحو عتق عقلي ، بل عتق بالعقل ذاته ؛  
وحروج به عن السائرة التي يملك فيها أسباب الصور والإدراك والحكم ، وكل  
ما ناز من الحدود حول هذا الموضوع وكل ما يشور إن هو لا جهل بطبيعة  
لعقل البشري وخصائصه وحدوده ، وإقحام به في غير ميدانه ، لنفيس عمل  
لخالق في مدرجات الإنسان ، وهو سمع في إتفاق طاقته العينية ، وحقاً في  
المسح من الأساس ، إنه يعون كيف يلبس الخاند بالظاني ، وكيف يتبس  
الأثرى بالحدث ؟ ثم يكرر أو يثبت ويعمل ؟ فيها العقل الإنساني ليس مدعواً  
أصلاً للفصل في موضوع ، لأن الله يقول إن هذا قد كان ، ولا يقول  
كيف كان ، فالأمر إذن ثابت ولا يملك العقل البشري أن يصبه ، وكذلك  
هو لا يملك أن يثبته بتفسير من عنده - غير تسليم بالنص لأنه لا يملك  
وسائل الحكم ، فهو حادث ، والحادث لا يملك وسائل الحكم على الأثرى في  
دانه ، ولا على الأثرى في حقيقته للحادث ، وسليم العقل ابتداء بهذه البديهة  
أو القصية - وهي أن الحادث لا يملك وسائل الحكم على الأثرى في أي صورة  
من صوره ، يكفي يكف العقل عن إتفاق طاقته سمها في غير مجاله المأمور

فليظر بعد ذلك ماذا كان

﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَهْمُونَ ﴿٣٠﴾﴾

كما هي طبيعة هذا لخلق الملائكة - الصاعقة المطلقة بلا جدر أو تعويق

﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾﴾

(٣١) الحجر ٣١

(٣٠) الحجر ٣٠

(٢٩) الحجر ٢٨ - ٢٩

وإبليس خلق حر غير ملائكة ، فهو من نار وهم من نور ، وهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وهو أفت وعصى ، فليس هو من ملائكة يطيع ، أما الاستثناء هنا فليس على وجهه ، إنما هو كما نقول حصر بو فلائلاً أحمد ، وليس معهم ، إنما هو معهم في كل مكان أو ملائكة ، وأما أن الأمر المذكور للملائكة ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ ﴾ فكيف تميل إبليس ! فإن صدور الأمر إلى إبليس يدل عليه ما بعده ، وقد ذكر صريحاً في سورة الأعراف ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ . وأسلوب القرآن يكتفى بدلالته اللاحقة في كثير من المواضع ، فنور الله تعالى له ﴿ مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ قاطع في أن الأمر قد صدر له ، وسن من الضروري أن يكون هذا الأمر هو أمره بملائكته ، فقد يصدر إليه معهم لاجتماعهم في ملائكة ما ، وقد يصدر إليه مفرداً ولا يذكر تهيؤاً لشأنه وظهوراً للملائكة في الموقف ، ونكر المقطوع به من التصوص ومن دلاله تصرفه أنه ليس من الملائكة ، وهذا ما اختاره .

وعلى أية حال فنحن نتعامل هنا مع مُسَمَّاتٍ عينية لا نملك تصور ماهياتها ولا كفياتها في غير حدود التصوص ، لأن العقل كما أسما لا سبيل له في هذا المجال بحال من الأحوال .

﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ لَا تَكُونُ مَعَ لَسَاجِدِينَ ۖ قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾ (١) .

وصرحت صبيغة «عروور والاستكبر والعصيان في دنك الخنوق من نار السموم ، وذكر إبليس بصلصال وخمأ ، ولم يذكر التفحذ لعلويه التي تلبس هذا بطي ، وتشاع برأسه عروور يقول إنه ليس من شأنه في عظمته أن يسجد لبشر خلقه الله من صلصال من حمأ مسنون .

وكان ما ينبغي أن يكون : ﴿ قَالَ

فَآخْرِجْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣١﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ يَوْمَ

الَّذِينَ ﴿٣٢﴾ .

(١) الأعراف ١٢ (٢) الحجر : ٢٢ ٢٣ . (٣) الحجر : ٢٤ - ٢٥

عدتد تبدى خلیقة الحق وحقیقة الشر :

﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ

مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾

قد طلب النظرة إلى يوم البعث ، لا ليدم على خطيئته في حصرة لخالق  
العظيم ، ولا ليتوب إلى الله ويرجع ويكفر عن إثمه الحسيم ، ولكن يستقيم من  
آدم ودريته جراء ماله الله وطرده . يربط نعمة لله له بآدم ، ولا يربطها  
بعضيائه لله في تبجح بكبر ! .

وكانت وما زالت المعركة ..

إن قصة البشرية الكبرى تسحق تعقيبات مفصلة لا عدتد أن تستطرد  
فيها - في ظلال القرآن - فكنفى أن نلم بها يلماً ، وعلى أية حال ، فإن  
مجموع النصوص القرآنية في خلق آدم عليه السلام ، وفي مشاة خمس  
البشرى ، ترجح أن إعطاء هذا لكائنات خصائصه الإنسانية ووظائفه المستمدة ،  
كان مصاحباً لحضه ، وأن الترقى « الإنسان » كان بريقاً في برور هذه  
الخصائص ، ونمواها ، وتدريبها ، واكتسابها إلى الإنسان كما تقول الداروينية

إن الرعم بأن الإنسان مجرد حيوان متطور عن حيوان ! هي التي جعلت  
الإعلان لما ركسى يذكر أن مطالب الإنسان الأساسية هي الطعام والشراب  
والسكن والجنس ! فهذه نعلأ هم مطالب الحيوان الأساسية ! ولا يكون  
الإنسان في وضع أحقر من يكون وفق هذه النظرة ! ومن ثم تهدر كل حقوقه  
المرتبعة على نمرده عن الحيوان بخصائصه الإنسانية تهدر حقوقه في الاعتقاد  
الديني ، وفي حرية الفكر والرأى وفي اختيار نوع العمل ومكان الإقامة  
إلخ .

فإن النظرة الإسلامية إلى إنسان وهي تقوم على أساس نمرده بخصائصه  
الإنسانية إلى جانب ما يشترك فيه الحيوان من تشكيل العصى .

## امتنان الله على الجن والإنس بنعمة الإيجاد والإنشاء

إن سورة الرحمن كلها إعلان عام في ساحة الوجود الكبير ، إعلان يطلق من الملأ الأعلى فتجاوب به أرحاء الوجود ويشهده كل من في الوجود وكل ما في الوجود ..

وعند هذا المقطع من تعدد نعم الله وآلائه تعليم القرآن وحق الإنسان ، وتعليمه البيان ، وتنسيق الشمس والقمر بحسب ، ورفع السماء ووصوع الميراث ، ووضع الأرض للأدم ، وما فيها من فاكهة ونخل وحب وربحان . عند هذا المقطع يهتف بالجن والإنسان ، في مواجهة انكون وأهل الكون ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ، وهو سؤال للتسحيل والإشهاد ، فما يملك يس ولا جان أن يكذب بآلاء الرحمن في مثل هذا المقام ثم يهتم من الامتنان عليهما بآلاء الله في الكون ، إلى الامتنان عليهما بآلائه في دوات أنفسهما ، وفي خاصة وجودهما وإنشائهما .

﴿ خَلَقَ ﴾

الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ  
مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ ﴿٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾

ونعمة الإيجاد والإنشاء أصل النعمة ، والمسافة بين الوجود وعدم الوجود ابتداء مسافة لا تقاس أعادها بأي مقياس مما يألمه البشر ، فجميع المقاييس التي في أيدي البشر أو التي تدركها عقولهم ، هي مقاييس للفارق بين موجود وموجود ، أما المسافة بين الوجود وغير الوجود فلا تدركها مدارك البشر بحال ! ونحسب الجن كذلك ، فإن هم إلا خلق مقاييسه مقاييس المخلوقات ! فعين يمشق الله على الجن والإنس بنعمة الإيجاد والإنشاء ، وإنما يمتن عليهما بالنعمة التي تفوق حد الإدراك .



ثم يقرر الحق سبحانه مادة خلق الإنسان والحيوان ، وهي كذلك من خلق الله ، والصلصال طين ، ذا يابس وصار به صوت وصلصلة عند لصرب عليه ، وقد تكون هذه حقيقة في سلسلة الشدة من طين أو من التراب ، كما أنها قد تكون تعبيراً عن حقيقة التوحد بين مادة الإنسان ومادة الأرض في عناصر التكوين .

وقد أثبت العلم الحديث أن جسم الإنسان يتكون من العناصر ما يحتويه الأرض ، فهو يتكون من الكربون ، والأكسجين ، والهيدروجين ، والفوسفور ، والكبريت ، والآروت ، والكالسيوم ، والبوتاسيوم ، والصوديوم ، والكلور ، والمغنسيوم ، والحديد ، والنيكل ، والزنك ، واليود ، والفلورين ، والكوئالت ، والرنت ، والسلكون ، والألمنيوم ، وهذه نفسها هي العناصر المكونة للتراب ، وإن اختلفت نسبها في الإنسان عن التراب ، وفي إنسان عن آخر ، إلا أن أصنافها واحدة .

إلا أن هذا الذي أثبتته لعلم لا يجوز أن يؤخذ على أنه التفسير الختامي لصح القرآني ، فقد تكون الحقيقة الفرائية تعني هذا الذي أثبتته العلم ، أو تعني شيئاً آخر سواه ، ونقصد إلى صفة أخرى من الصور الكثيرة التي يتحقق بها معنى خلق الإنسان من تراب ، أو طين أو صلصال .

والذي شبه إليه بسدة هو ضروره عدم قصر النص القرآني على كشف معنى بشري ، قابل للحفظ والصوب ، وقابل للتعديل والتبديل ، كما اتسعت معارف الإنسان وكثرت وتحسنت ومثاله لمعرفة ، فإن بعض مخلصين من الباحثين يسارعون إلى المطالبة بين مدلول النصوص القرآنية والكشوف العلمية تخريبية أو افتراضية - بنية ما في القرآن من إعراف ، فإقرآن معحر سواء صدقت الكشوف العلمية المتأرجحة بصوصه الثابتة أم لم تطابقها ، وبصوصه أوسع مدلولاً من حصرها في نطاق تلك الكشوف القائمة دائماً للتبديل والتعديل ، بل للحفظ والصواب من الأساس ! وكل ما يستفاد من الكشوف العلمية في تفسير نصوص القرآن ، هو توسيع مدلولها في تصورنا كلما أطلع العلم على شيء مما تشير إليه إشارات محممة من آيات الله في الأنفس والأفاق ، دون أن يحمل النص القرآني على أن مدلوله هو هذا الذي كشفه

العلم ، إنما جوار أن يكون هذا بعض ما يشير إليه

وأما خلق الجن من مارج من نار ، فمسألة خارجة عن حدود العلوم البشرية ، وحصر الواحد فيها هو هذا القرآن ، حبر الله الصادق ، الذي حقق وهو أعلم من خلق . المارج : المشتعل بالنفس ، سار مع الرياح ! وللجان قدرة على الحياة في هذه الأرض مع الإنس ، ولكن لا يدري كيف يعيش الجن وقبيله ، فأما الأمر مستيقن فهو أنهم يخطبون هذا القرآن كما سبق بيانه عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَإِذْ صَرَّفْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ ... ﴾ ، وكما هو الحال هنا في سورة الرحمن .

والخطاب هنا للجن والإنس ، لتذكيرهما بعمدة الوجود ، كل من الأصل الذي نشأه الله به ، وهي السعة التي تقوم عليها سائر النعم ، ومن ثم يعقب عليها بتعقيب التسجييل والإشهاد النعم ﴿ فَأَيُّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ولا تكذيب في هذا المقام المشهود !.

## تهديد فيه وعيد للجن والإنس

قال تعالى :

﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴾ (٣١) ﴿ فَأَيُّ

آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (٣٢) يَمَعْشَرُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ

أَنْ تَعْدُوا مِنْ أَقْصَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَا نُفِذُوا لَأَنفَعِدُوكَ

إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿ فَأَيُّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (٣٤) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا

شَوَاطِئٌ مِنْ نَارٍ وَمُهَاسٍ فَلَا تَنْصِرَانِ ﴿ فَأَيُّ آلاءِ رَبِّكُمَا

تُكَذِّبَانِ ﴾

﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ ﴾ يالهيون المرعب المرلزل ، الذي لا

يشت به إيس ولا جان ، ولا تقف له اجبال البروسى ولا النجوم والأفلاك !

الله جل جلاله ، الله القوى القادر ، لقهار الجبر ، الكبير المتعال ، الله سبحانه يرفع الحساب هدين الخفيين الصغيرين الجن والإنس ، في وعيد وانتقام !

إنه أمر ، إنه هول ، إنه فوق كل تصور واحتمال ! .

والله سبحانه ليس مشعولاً فيرفع ، وإنما هو تقريب الأمر للتصور البشري . وإيقاع الوعيد في صراحة مذهمة مررلة ، تسحق الكبر مجرد تصورهما سحقاً ، فهذا انوجود كنه بشأ بكمة ، كمة واحدة ، كن هكون . وتدميره أو سحقه لا يحتاج إلا واحدة كلمح البصر فكيف يكون حال الثقليين ، والله يرفع لها وحدهما يتولاها بالانتقام ؟

وفي ظل هذا الهول الرعب يسأل الثقليين المسكينين ﴿ يَا أَيُّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ! .

ثم يحصى الإيقاع الرعب المررل ، يتحداها أن يعدد من أقطار السموات والأرض ﴿ يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا ﴾ ، وكيف ؟ وأين ؟ ﴿ لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴾

ولا يملك السلطان إلا صاحب السلطان

ومرة أخرى يواحيهما بالسؤال ﴿ يَا أَيُّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ؟ وهل بقي في كهاهما شيء يكذب أو بهم مجرد البطق وانبان ؟

ولكن الحجة الساحقة تستمر إلى هاتهما ، والتهديد الرعب يلاحقهما والمصير المردي يمثل هما ﴿ يُرْسَسُ عَلَيْكُمُ شَوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْصِرَانِ ﴾ ، ﴿ يَا أَيُّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ؟

## المجرمون من الجن والإنس معروفون من غير سؤال

قد تعالى .

﴿ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾

﴿٣٧﴾ فَإِنَّ آيَةَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ

إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٩﴾ فَإِنَّ آيَةَ رَبِّكُمْ تُكَذَّبَانِ ﴿٤٠﴾

يَعْرِفُ الْمُحْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأُقْدَامِ ﴿٤١﴾

ومن ههنا إلى ههنا السورة تبدأ مشهد اليوم الآخر ، مشهد الانقلاب الكوني يوم القيامة ، ومن بعده من مشهد الحساب ، ومشهد العذاب والثواب

ويبدأ ستعراض مشهد مشهد كوني يناسب مع مطالع السورة ومحلها الكوني :

﴿ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾

وردة حمراء ، سائبة كالدهن ، ومجموع الايات لتي وردت في صفة الكون يوم القيامة تشير كلها إلى وقوع دمار كامل في هذه الأفلاك والكواكب ، بعد انفلاتها من السق الذي يحكمها الآن ، ويسس بين مداراتها وحرارتها ، من هذه الآية ، ومنها ﴿ إِذَا رُخَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ﴾ وبُشَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ، فكانت هباءً منثًّا ﴿ ﴾ ومنها ﴿ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴾ ونحسف القمر ، وجمع الشمس والقمر ﴿ ﴾ ، ومنها ﴿ إِذَا لُتْمَتُ كُورَتِ ﴾ وإذا الثخوم انكدرت ، وإذا الجبال سئرت ، وإذا البحار غطلت ، وإذا الوحوش خشرت ، وإذا البحار سُجرت ﴿ ﴾ ، ومنها ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴾ وإذا الكواكب انشرب ، وإذا البحار فُجرت ﴿ ﴾ ، ومنها ﴿ إِذَا السَّمَاءُ سُفَّتْ ﴾ وأذنت لربها رُخَّتْ ، وإذا الأرض مُدَّتْ ، وألقت ما فيها وثعلت ، وأذنت لربها وُخَّتْ ﴿ ﴾ ، وهذه وغيرها تشير إلى ديك لحادث الهائل الذي سيقع في الكون كله ، ولا يعلم حقيقته إلا الله

﴿ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾ ، ﴿ فَإِنَّ آيَةَ

رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ ﴾ ، ولا تكذب عندئذ ولا تكرب

(١) الرحمن ٣٧ - ٤١ . (٢) الواقعة ٤ - ٦ (٣) القيمة ٢  
(٤) التكوير ١ - ٦ (٥) الانفطار ١ - ٢ (٦) الانشقاق ١ - ٥

﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴾ ، وذلك في موقف من مواقف ذلك اليوم المشهود ، لدى ستكون فيه مواقف شتى ، منها ما يسأل فيه لعباد ، ومنها ما لا يسألون فيه عن شيء ، ومنها ما تجادل كل نفس عن نفسها ، وما تلقى به لشعة على شركائها ، ومنها ما لا يسمح فيه بكلمة ولا حدس ولا حصار فهو يوم طويل مديد ، وكل موقف من مواقفه هائل مشهود .

وهو موقف : لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان ، ذلك حين تعرف صفة كل فرد وعمله ، وتبدو في الوجود معالم الشقوة سواداً ، ومعالم الحقوة بياضاً ، ويظهر هــد وذاك في سيما الوجوه ، فعلى هــد الموقف هل من تكذيب وكرا ، ﴿ فَبِأَيِّ آيَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبُونَ ! ﴾  
﴿ يُعْرِفُ الْخَائِبُونَ بِسِيَمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالْوَصِيِّ وَالْأَقْدَامِ ﴾ .

وهو مشهد عيف ومع لعنف الهوان ، حيث تجمع الأقدام إلى الخياه ، ثم يقذف لخرمون على هذه الهيئة إلى الدار فهل جيداك من تكذيب أو كرا ؟

## إثبات نكاح الجنى للإنسى

قال تعالى :

﴿ فِيهِمْ فَصِرَتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ نَفْسُ قِبَلِهِمْ وَلَا حَانَ ﴾ .

فهي عقيمت الشعور وانظر ، لا تمتد أبصارهم إلى غير أصحابهم ، مصوبات لم يحسهن إنس ولا جن .

وقال تعالى :

﴿ حُورٌ

مَّقْصُورَاتٌ فِي الْحَيَاةِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ آيَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾

لَمْ يَطْمِئِنَّ نَفْسُ قِبَلِهِمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ (٧١) .

مهن يشتركن مع زميلاتها هناك في الصون والعماف .

## الاستعاذة من وسوسة الجن والناس

قال تعالى :

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ .

الاستعاذة في هذه السورة برب الناس ، ملك الناس ، إله الناس ، والمستعاذ منه هو : شر الوسواس الخناس ، الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس .

والاستعاذة بالرب ، الملك ، الإله ، تسحصر من صفات الله سبحانه ما به يدفع الشر عامة ، وشر الوسواس الخناس خاصة

فالرب هو المولى والموجه والموعى والحامى ، والملئك هو المالك الحاكم المتصرف ، والإله هو المستعنى المستولى المتسلط وهذه الصفات بها حماية من الشر الذى يتدسس إلى الصدور ، وهى لا تعرف كيف تدفعه لأنه مستور

والله رب كل شيء ، وملك كل شيء ، وإله كل شيء ، ولكن تخصيص ذكر الناس هنا يجمعهم يحسون بالقربى في موقف العباد والاحتفاء

والله برحمة منه يوجه رسوله (ﷺ) ومثله إلى العباد به والاتجاه إليه ، مع استحصار معاني صفاته هذه ، من شر خفى الدبيب ، لا قبل هم بدفعه إلا بصون من أنرب المالك الإله ، فهو يأخذهم من حيث لا يشعرون ، ويأبئهم من حيث لا يحسبون ، والوسوسة ، الصوب الخفى ، والخنوس ، الاحتفاء والرجوع ، والخناس هو الذى من طبعه كثرة الخنوس .

(١) سورة الناس ١ ٦

وقد أُصنق لص الصعة أولاً ﴿ التوسواس الخناس ﴾ ، وحدد عمله  
﴿ الذى يُوسوس فى صدور الناس ﴾ ، ثم حدد ماهيته : ﴿ من الجنة  
والناس ﴾ ، وهذا الترتيب يثير فى الحس اليقظة والتلفت والابتاه لتبين حقيقة  
التوسواس الخناس ، بعد إصلاق صعبته فى أول الكلام ، وإدراك طريقة عمله  
التي يتحقق بها شره ، تأهباً لدفعه أو مراقبته !

والنفس حين تعرف بعد هذا التشويق والإيقاظ أن التوسواس الخناس  
يوسوس فى صدور الناس خفية وسراً ، وأنه هو الجنة ، ويوسوسون وسوسة  
الشياطين ، النفس حين تعرف هذا تتأهب للدفاع ، وقد عرفت العكس  
والمدخل والطريق !

ووسوسة الجنة عن لا يدري كيف تتم ، ولكننا نجد آثارها فى واقع النفوس  
وواقع الحياة ، ونعرف أن معركة بين آدم وإبليس قديمة قديمة وأن للشيطان  
قد أعينها حرباً تبتلى من حقيقة الشر فيه ، ومن كبريائه وحسنه وحفده على  
إبليس ! وأنه قد استصدر من الله دناً ، فأتى فيها سبحانه بحكمة يرها !  
وم يترك إبليس فيها محرراً من عدة ، فقد جعل له من الإيمان حُجَّة ، وجعل  
له من الذكر عدة ، وجعل له من الاستعداد سلاحاً ، فإذا أعفل الإنسان جنته  
وعدته وسلاحه فهو إدب وحده للوم !

عن ابن عباس قال قال رسول الله (ﷺ) : « للشيطان جاثم على قلب  
بن آدم فإذا ذكر الله تعالى خسر ، وإذا عفل وسوس » (١)

وأما وسوسة الدس نحن نعرف عن وسوستهم الشيء الكثير ، ونعرف منها ما  
هو أشد من وسوسة الشياطين !

رفيق السوء الذى يتدسس بالشر إلى قلب رفيقه وعقده من حيث لا  
يحتسب ومن حيث لا يحترس ، لأنه الرهيب المأمون !

وحاشية الشر التي توسوس بكل دس سلطان حتى تتركه طاعية جباراً  
مفسداً فى الأرض ، مهكاً للحرث والنسل !

والتمام الوشى الذى يربى الكلام ويرحلعه ، حتى يبدو كأنه الحق الصراح  
الذى لا حرية فيه

(١) أخرجه فى « مشكاة المصابيح » (٢٢٨٩) ، والقرطبي ٢٠ ٢٦٢ وقد ذكره فى « الظلال »

٤٠٩٩/٦ وسببه للبغارى مطلقاً ، وقد بحث عنه ولم أجده

وبائع الشهوات الذى يتدسس من مهاد العريرة فى إغراء لا يدفعه إلا  
بقطة القلب وعون الله .

وعشرات من الموسوسين الخدسين الذين يصوبون الأحابيل ويخفونها ،  
ويدخلون بها من مهاد القلوب الخفية لئلا يعرفوها أو يتحسسوها وهم شر  
من العجبة وأحصى مهم دينياً ! .

ولأسباب عاجر عن دفع الموسوسة الخفية ، ومن ثم يده الله على عدته  
وجنته وسلاحه فى المعركة الرهيبة ! .

وهناك قصة ذات معنى فى وصف الموسوس بأنه « الحساس » فهذه الصفة  
تدل من جهة على تخفية وإخفاءه حتى يجد المرصد ساحة هيدب ويوسوس ،  
ولكنها من جهة أخرى تروحي بضعفه أمامه من يسيقظ مكره ، ويحمي مدخل  
صدره ، فهو - سواء كان من العجبة أم كان من الحساس - إذا ووجه حس ،  
وعاد من حيث أتى ، وقبع واحصى ، أو كما قال الرسول الكريم فى تشبيه المصور  
الدقيق : « فإذا ذكر الله تعالى خسر ، وإذا عقل وسوس » .

وهذه البقعة تقوى القلب على مواجهة الوسواس ، فهو حاس ، ضعيف  
أمام عدة المؤمن فى المعركة .

ولكنها - من ناحية أخرى - معركة ضويلة لا تسهى أبداً ، فهو أبداً قانع  
حاس ، مترقب للعصاة ، والبقطة مرة لا تعنى عن البقطات ، وخرب سجان  
على يوم القيامة ، كما صورها القرآن الكريم فى مواضع شتى ، ومنها هذه الصورة  
العجيبة فى سورة الإسراء :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ  
قَالَ مَا أَكْبَرُ لِمَنْ خُلِقَ طِينًا ۖ قَالَ أَرَأَيْتَ يَنُوكَ هَٰذَا الَّذِي  
كُرَّمْتَ عَلَيْهِ لَئِنْ أَحْرَسْتَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا خَنِيكَ  
ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ۖ ۞ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ يَبْعَكَ مِّنْهُمْ فَإِنَّ  
جَهَنَّمَ جَرَاءُ كَجَرَاءِ مَوْفُورًا ۖ ۞ وَأَسْتَفِرُّ مَنِ اسْتَطَعْتُ



مِنْهُمْ بَصَوْتِكَ وَأَحَبَّ عَلَيْهِمْ بِخَبْرِكَ وَرَحِيلِكَ وَشَارِكُهُمْ  
 فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا  
 عُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِمَادِي لَيْسَ بِنِكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى  
 بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾

وهذا انصوّر لطبعة معركة ودواع الشر فيها سوء عن طريق الشيطان  
 مباشرة أو عن طريق عملائه من بشر - من شأنه أن يشعر الإنسان أنه ليس  
 معنوباً على أمره فيها ، فإن ربه وملكه وإلهه مسيطر على الخلق كله ، وإذا كان  
 قد أدن لإبليس بالخراب ، فهو أحد باصيته . وهو لم يسلطه إلا على الذين  
 يفعلون عن ربه وملكهم وولاهم . فأف من يدكروا لهم في حجة من الشر  
 ودواعيه الخفية ، فخير بدل يستند إلى القوة التي لا قوة سواها ، وإلى حقيقة  
 التي لا حقيقة غيرها ، يستند إلى الرب أمست الإله ، والشر يستند إلى وسواس  
 حاس ، يصعب عن حواجة ، ويحس عند النقاء ، ويهرم أمام العباد بالله  
 وهذا أكمل انصوّر بتحقيقه القائمة عن الخير والشر ، كما أنه أفضل انصوّر  
 يحى القلب من الهرينة ، ويعلمه بالقوة ولثته والطمأنينة

## سورة الفلق وسورة الناس حصن حصين

سورة الفلق وسورة الناس توحيه من الله سبحانه ونعاني سببه (عليه السلام)  
 ابتداء وللمؤمنين من بعده جميعاً ، بلعياد بكنهه ، وابتداء بحمائه ، من كل  
 محوف وحاف وظاهر ، مجهول ومعلوم ، عني وجه الإجمال وعلى وجه  
 لتفصيل ، وكأنما يفتح الله سبحانه بهم حمائه ، ويسلط لهم كنهه ، ويقول  
 لهم ، لي مودة وعطف تعاونا إلى ها ، تعاونا إلى الحمى ، تعاونا إلى  
 ما أنكم الذي تضمثون فيه ، تعاونا فما أنكم صغاف وأن لكم أعداء  
 وأن حوكم محوف وهذا هو الأمن والطمأنينة والسلام

وفي قصه نزلها وفصة نزلها وردت عدة آثار ، تتفق كلها مع هذا  
النظر الذي سروه ، والذي يتضح من الآثار المروية أن رسول الله (ﷺ)  
استروحه في عمق وفوح والطلاق .

عن عتبة بن عامر ، أن رسول الله (ﷺ) : « ألم تر آيات أمّرت هذه  
النيلة لم تر مثلها قط ؟ » (قل أعوذ برب الملق) ، و (قل أعوذ برب الناس) (١) .

وعن جابر قال قال لي رسول الله (ﷺ) : « اقرأ يا جابر » قل  
ماذا يأتي أنت وأمي ؟ قال : « اقرأ قل أعوذ برب الملق » و قل أعوذ برب  
الناس » فقرأتها ، فقال : « اقرأ بهما هل تقرأ بمثلهما » (٢) .

وعن عائشة ، أن النبي (ﷺ) كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع  
كفيه ، ثم نث فيهما ، وقرأ فيهما : « قل هو الله أحد » و قل أعوذ برب  
الملق ، و قل أعوذ برب الناس ، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده ، يبدأ  
بهما على رأسه ووجهه ، وما أقبل من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات (٣) .



١. أخرجه مسلم ( صلاة المسافرين ) ٢٦٤ ، وسكة المصاحف ٢ ( ٢١٣٩ ) و شرح السنن ،  
٤٨٠ ٤ ، وابن كثير ٥٥٠ ٨ ، والبغوي ٣٢٩/٧ ، وأحمد ١٥١ ٤ ، و تاريخ أئمة ،  
٣٦١ ١ ، و الظلال ٤٠٦/٦ ، وسبه لائل الترمذي وأبو داود والنسائي  
(٢) أخرجه النسائي ٧٥٢ ٨ و ٢٥٤ ، وأحمد ١٤٩ ٤ و ١٥١ ، و موارد الظلمات ،  
(١٧٧٨) ، وابن كثير ٥٥١ ٨ و ٥٥٣ ، و مشكل الآثار ٣٦١ ، و الدر المنثور ،  
٤١٦/٦ و ٤١٧ ، و الكبير ٢٧٤٤٦ ، و الظلال ٤٠٦ ٦  
(٣) أخرجه البخاري ٢٣٣ ٦ ، وأبو داود ٥٠٥٦ ، و الترمذي ( ٣٤٠٢ ) و الدر المنثور ،  
٤١٥/٦ ، والبغوي ٣٥٦ ٧ ، و شرح السنن ٤٧٨ ٤ ، و ابن السني ( ٦٩١ ) ، و فتح  
الباري ٦٢٩ ، و الكلم طيب ٣٠١ ، و ابن كثير ٥٤٦ ٨ و الظلال ٤٠٦ ٦

## خاتمة

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

اعلم أن وجود الجن ثابت بطرق كثيرة غير دلالة الكتاب والسنة ، فإن من الناس من رآهم ، وفيهم من رأى من رآهم ، وثبت ذلك عنده بالخبر والبلين

ومن الناس من كلمهم وكلموه ، ومن الناس من يأمرهم ويهدمهم ويتصرف فيهم . وهذا يكون للصالحين وغير الصالحين ، ولو ذكرت ما جرى لى ولأصحابي معهم لعال الخطاب ..

وكذلك ما جرى لغيرنا ، لكن الاعتماد على الأجوبة العلمية يكون على ما يشترك الناس في علمه ، لا يكون بما يختص بعلمه المجيب إلا أن يكون الجواب لمن يصدقه فيما يخبر به .

والجان المؤمنين مأمورون بأعمال زائدة على التصديق ، ومنتبهون عن أعمال غير التكذيب ، فهم مأمورون بالأصول والفروع بحسبهم ، فإنهم ليسوا مماثلين للإنس في الحد والحقيقة . فلا يكون ما أبزوا به ونهوا عنه مساوياً لما على الإنس في الحد ، لكنهم مشاركون الإنس في جنس التكليف بالأمر والنهي ، والتحليل والتحريم ، وهذا ما لم أعلم فيه نزاعاً بين المسلمين .

وكذلك لم يتنازعوا أن أهل الكفر والفسوق والعصيان منهم يستحقون لعذاب النار ، كما يدخلها من الأبرصين ، لكن تنازعوا في أهل الإيمان منهم ، فذهب الجمهور من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وأبي يوسف ومحمد ، إلى أنهم يدخلون الجنة ، وروى في حديث رواه الطبراني ، أنهم يكونون في ربض الجنة ، يراهم الإنس من حيث لا يرونهم .

وذهب طائفة منهم أبو حنيفة فيما نقل عنه إلى أن المطيعين منهم يصيرون تراباً كالبهائم ، ويكون ثوابهم النجاة من النار . وهل فيهم رسل أم ليس فيهم (لأندر ؟ على قولين .

ف قيل : فيهم رسل لقوله تعالى : ﴿ يامعشر الجن والإنس أئمت ياتكم رسل منكم .. ﴾ (١).

وقبل الرسل من الإنس ، والجن فيهم النذر ، وهذا أشهر ، فإنه أخبر عنهم بإتياع دين محمد (ﷺ) ، وأنهم ﴿ ولوا إلى قومهم منذرين ﴾ قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى ﴿١﴾ قالوا : وقوله ﴿ ألم يأتكم رسل منكم ﴾٢ كقوله . ﴿ يخرج منهما اللؤلؤ وقمرجان ﴾٣ وإنما يخرج من المالح .. وكقوله ﴿ وجعل القمر فيهن نورا ﴾٤ وجعل الشمس سراجاً ﴿٥﴾ والقمر في واحدة

وأما التكليف بالأمر والنهي والتحليل والتحريم فدلائله كثيرة ، مثل ما في صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود عن النبي (ﷺ) : « أتاني داعي الجن ، فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن ، فأنطلقوا فارأنا آثارهم وأثار نيرانهم ، وسألوه الزاد فقال : لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم ، أوفر ما يكون ، وكل بفرة علف لدوابكم ، فقال النبي (ﷺ) : لا تستجروا بالعظم والروث »٦ وذلك لئلا يفسد عليهم طعامهم وعلفهم ، وهذا يبين إنما أباح لهم من ذلك ما ذكر اسم الله عليه دون عالم يذكر اسم الله عليه

وقال تعالى : ﴿ وإن زين لهم الشيطان أعمالهم ﴾ إلى قوله : ﴿ إلى أخاف الله والله شديد العقاب ﴾٧ ، فأخبر عن الشيطان أنه يخاف الله ، والعقوبة إنما تكون على ترك ما أمر أو فعل محظور وليس هو هنا التصديق ..

وايض قابليس الذي هو أبو الجن ، لم تكن معصيته تكذيباً ، فإن الله أمره بالسجود ، وقد علم أن الله أمره ، ولم يكن بينه وبين الله رسول يكتبه ، ولما امتنع عن السجود لائم عاقبه الله للعقوبة البليغة ، ولهذا قال النبي (ﷺ) : « إذا سجد ابن آدم اعتزل الشيطان يبكي »٨ ..

وقد قال تعالى في قصة سليمان عليه السلام : ﴿ وسليمان الريح غصوها شهر ورواحها شهر ﴾ إلى قوله : ﴿ عذاب السعير ﴾٩ .. وقد جعل في ذلك ما أمرهم به من طاعة سليمان عليه السلام ، وقد قال تعالى عن إبليس إنه عصي ولم يقل كذب ، وقد قال تعالى عن الجن : ﴿ يا قومنا إنا سمعنا كتاباً

(١) الأحقاف ٢٩ - ٣٠ (٢) الأنعام ١٣٠ (٣) الرحمن ٢٢

(٤) نوح ١٦

(٥) أخرجه مسلم ( الصلاة ) ١٥٠ ، والترمذي ( ٣٢٥٨ ) ، والبيهقي ١١١

و ١٠٩

(٦) الأنفال ٤٨ (٧) انظر ١ مجمع الزوائد ٢٨٤/٢

(٨) سبأ ١٢

أنزل من بعد موسى ﴿ إلى قوله ٥٠ ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض ﴾ ١ فأمروا بـإجابة داعي الله ، الذي هو الرسول ، والإجابة والاستجابة هي طاعة الأمر والنهي ، وهي العبادة التي خلق لها الثقلان . كما قال تعالى ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ (٢) ..

ومن قال إن العبادة هي المعرفة العنصرية الموجودة فيها ، وإن ذلك هو الإيمان وهو داخل في الثقلين فقط فإن ذلك لو كان كذلك لم يكن في الثقلين كافر ، والله أخبر بكفر إبليس وغيره من الجن والإنس ، وقد قال تعالى ﴿ لأملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين ﴾ (٣) . وأخبر أنه معلوف منه ومن اتبعه وهذا يبين أنه لا يدخلها إلا من اتبعه ، فعلم أن من يدخلها من الكفار والفاسق من اتباع إبليس ، ومعلوم أن الكفار ليسوا بمؤمنين ، ولا عارفين الله معرفة يكونون بها مؤمنين

ولكن اللام لبيان الجملة الشرعية المتعلقة بالإرادة الشرعية ، كما في قوله تعالى ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ (٤) . وقوله تعالى ﴿ يريد الله ليبين لكم . ﴾ (٥) ..

وقد تكون لبيان العاقبة الكونية كما في قوله ﴿ فمن يرد الله إن يهديه يشرح صدره للإسلام ﴾ (٦) . وهذا كقوله تعالى ﴿ ولا يرالون مختلفين \* (إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ﴾ (٧) . أي خلق قوما للاختلاف ، وقوما للرحمة . وقال ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس ﴾ (٨) . فاللام في قوله تعالى ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ (٩) وإن كانت هي اللام في هذه الآية فإن مدلولها لام إرادة الفاعل ومقصوده ، ولهذا تنقسم في كتاب الله إلى إرادة نبيه ، وإرادة كونية ، كما تنقسم في كتاب الله تعالى الكلمات ، والأمر والحكم والقصاص ، والتحريم والإذن ، وغير ذلك .

وأيضاً فقوله تعالى ﴿ يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ﴾ (١٠) فبين أن الثقلين جميعاً تلت عليهم الرسل آيات الله ، ولهذا لما قرأ رسول الله ﷺ سورة على

١ (١) الأحقاف ٣٧ (٢) العنصرية ٥٦

٢ (٣) ص ٨٥ (٤) البقرة ١٨٥ (٥) النساء ٢٦

٣ (٦) الأنعام ١٢٥ (٧) هود ١١٨ - ١١٩ . (٨) الأعراف ١٧٩

(٩) الدرياب ٥٦

(١٠) الأنعام ١٣٠

الصحابه قال : ، لئن كانوا احسن جوابا منكم (١) . دعاهم الى طاعة الله لما فيه من الامر والنهي ، لا إلى مجرد حديث لا طاعة معه . فإن مثل هذا التصديق كان مع ابليس . فلم يُغن عنه من الله شيئا

والدلائل الدالة على هذا الأصل ، وما هي الحديث والآثار ، من كون الجن يحجون ويصلون ويجامدون ، واتهم بعاقبوس على الذنب : كثيرة جدا

وقد قال تعالى فيما خبر عنهم ﴿ وَأَنَا مِّنَ الصَّالِحِينَ وَمِنَ دُورِ ذَلِكَ كُنْتُ طَرَانِقٌ قَبْدًا ﴾ (٢) قالوا - مذهب شتى مسلمين ويهود ونصارى وشيعة وسنة .

فأخير أن منهم الصالحون ، ومنهم نون الصالحين ، فيكون إما مطيعا في ذلك فيكون مؤمنا ، وإما عاصيا في ذلك فيكون كافرا . ولا ينقسم مؤمن إلى صالح وإلى غير صالح ، فإن غير الصالح لا يعتقد صلاحه لترك الطاعات ، فالصالح هو الطامع بما وجب عليه . ودون الصالح لابد أن يكون عاصيا في بعض ما أمر به . وهو قسم غير الكافر . فإن الكافر لا يوصف بمثل ذلك ، وهذا يبين أن فيهم من يترك بعض الواجبات والله أعلم

أما عبادة المشركين للجن والذين وصفهم الله ورسوله بالشرك أصناف صنفان

قوم نوح . وقوم إبراهيم . فقوم نوح كان اصل شركهم العكوف على قبور الصالحين ، ثم صوروا تماثيلهم ، ثم عبدوهم .. وقوم إبراهيم كان اصل شركهم عبادة الكواكب والشمس والقمر ..

وكل من هؤلاء يعبدون الجن . فإن الشياطين قد تحاطبهم وتعينهم على أشياء ، وقد يعتقدون أنهم يعبدون الملائكة وإن كانوا في الحقيقة إنما يعبدون الجن فإن الجن هم الذين يعينونهم ويرضون بشركهم قال تعالى ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ بِيَاكُم كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ قالوا سبحانه أنت ولينا من قبلهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ﴿ (٣) ..

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ، ٢٣٢ ١ ولم يرد في مسائل الإمام أحمد

ابن حبان (٢٩٦) وابن أبي الدنيا في شكري (٣٧) . وابن كثير ٢٨٥/٧ والقرطبي ١٥٨/١٧

(٢) الجن ١١٠ . (٣) سبأ . ٤٠ . ٤١

والملائكة لا تعينهم على الشرك لا هي المحيا ولا في العمات ولا يرضون بذلك ، ولكن الشياطين قد تعينهم وتتصور لهم في صور الانبياء فيرونهم بأعينهم ويقول أحدهم انا ابراهيم انا المسيح انا محمد انا الخضر انا أبو بكر انا عمر . فاعشان انا على . انا الشيخ فلان . وقد يقول بعضهم عن بعض ، هذا هو النبي فلان أو هذا هو الخضر ويكون أولئك كلهم جذا يشهد بعضهم لبعض ، والجن كالإتس فمنهم الكافر ومنهم الفاسق ومنهم العصي وفيهم العابد الجاهل ، فمنهم من يحب شيئا فيتريا في صورته ويقول ، انا فلان ، ويكون ذلك في برئه ومكن فقر فيعلم تلك الشخص طعنا ويسقيه شرابا أو بدله على الطريق أو يخبره ببعض الأمور الواقعة الغائبة فيظن ذلك الرجل أن نفس الشيخ الميت أو الحي فعل ذلك ، وقد يقول : هذا سر الشيخ وهذه رقيقته وهذه حقيقته أو هذا ملك جاء على صورته ، وإنما يكون ذلك جنيا ، فإن الملائكة لا تعين على الشرك والإفك والإثم والعنوان .

وقد قال تعالى : ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من لونه فلا يكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا ﴾ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا ١٤١ . قال طائفة من السلف - كان أقوام يدعون الملائكة والأنبياء كالغزير والمسيح فيبين الله تعالى أن الملائكة والأنبياء عباد الله ، كما بن الذين يعبدونهم عباد الله . وبين أنهم يرجون رحمته ويخافون عذابه ويتقربون إليه كما يفعل سائر عباد الصالحين

ولا ريب أن الاوثان يحصل عندها من الشياطين وخطبهم ونصرهم ما هو من أسباب ضلال بني آدم . وجعل القبور أوثانا هو أول الشرك . ولهذا يحصل عند القبور لبعض الناس من خطب يسمعه وشخص يراه وتصرف عجيب ما يظن أنه من الميت وقد يكون من الجن والشياطين ، مثل أن يرى القبر قد انشق وخرج منه الميت وكلمه وعثقه . وهذا يرى عند قبور الأنبياء وغيرهم ، وإنما هو شيطان ، فإن الشيطان يتصور بصور الإتس ويدعي أحدهم أنه النبي فلان أو الشيخ فلان ويكون كاذبا في ذلك

وفي هذا الباب من الوقائع ما يضيق هذا الموضع عن ذكره . وهي كثيرة جدا ، والجاهل يظن أن ذلك الذي راه قد خرج من القبر وعانقه أو كلمه هو المقبور أو النبي أو الصالح وغيرهما ، والمومن العظيم يعلم أنه شيطان ويتبين ذلك بأمور

أحدها . ن يقرأ آية الكرسي بصدق ، فإذا قرأها تغيب تلك الشخص أو ساء (١) في الأرض أو احتجب ، ولو كان رجلاً صالحاً أو ملكاً أو جنياً مؤمناً لم تضره آية الكرسي وإنما تضر الشياطين ، كما ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة لما قال له الجنى اقرأ آية الكرسي إذا أويت إلى فراشك فإنه لا يزال عليك من الله حافظ . ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، فقال النبي ﷺ : صدقت وهو كدوب (٢) ..

ومنها . أن يستعيذ بالله من الشياطين

ومنها . أن يستعيذ بالعوذ الشرعية فمن الشياطين كانت تعرض للأنبياء في حياتهم وتريد أن تؤنيهم وتفسد عبادتهم ، كما جاءت الجن إلى النبي ﷺ بشعلة من النار تريد أن تحرقه فأتاه جبريل بالعوذة المعروفة التي تضمنها الحديث المروي عن أبي التياح أنه قال سأل رجل عبد الرحمن بن حبيش وكان شيخاً كبيراً قد أدرك النبي ﷺ كيف صنع رسول الله ﷺ حين كانت الشياطين ؟ قال تعدت عليه من الشهاب والاولوية . وفيهم شيطان معه شعلة من نار يريد أن يحرق بها رسول الله ﷺ . قال فرعب رسول الله ﷺ فأتاه جبريل عليه السلام فقال : يا محمد قل قال ما أقول ؟ قال قل . اعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وبرا وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ومن شر ما يخرج من الأرض ومن شر ما ينزل فيها ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر كل طارق يطرق إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن ، قال فطقت نارهم وهزمهم الله عز وجل (٣) .

فإذا كانت الشياطين تأتي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لتؤنيهم وتفسد عبادتهم ، فهددهم الله تعالى بما يويد به الأنبياء من الدعاء والذكر والعبادة ومن الجهاد بالبدن ، فكيف من هو نون الانبياء ؟ .

فالنبي ﷺ جمع شياطين الإثم وقبح بما أيده الله تعالى من أنواع الصوم والأعمال ومن أعظمها الصلاة والجهاد ، وأكثر أحاديث النبي ﷺ في الصلاة والجهاد ، فمن كان متبعاً للأنبياء نصره الله سبحانه بما نصر به الأنبياء .

(١) ساء انحطى

(٢) أخرجه البخاري ١٤٩٤ . وابن خزيمة في صحيحه (٢٤٢٤) والالباني

في الصحيحه (١٥٢٩) وغيرهم

(٣) أخرجه الإمام أحمد ٤١٩/٣ . والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٥) =



وأما من ابتدع ديناً لم يُشرعوه ، فترك ما امروا به من عبادة الله  
 وجده لا شريك له واتباع نبيه فيما شرعه لأمته ، وابتدع الغلو في الانبياء  
 والصالحين والشرك بهم فإن هذا تنتهب به الشياطين ، قال تعالى ﴿ إنه  
 ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون \* إنما سلطانه على  
 الذين يتولونه والذين هم به مشركون ﴾ (١) وقال تعالى ﴿ إنَّ عبادي  
 ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين ﴾ (٢).  
 والشياطين يوالون من يفعل ما يحبونه من الشرك والفسوق  
 والعصيان

فتارة يخبرونه ببعض الأمور الغائبة ليكشف بها .  
 وتارة يؤنون من يريد أذاه بقتل وتمريض ونحو ذلك  
 وتارة يجلبون له من يريد من الإيس ..

وتارة يسرقون له ما يسرقونه من أموال الناس من نقد وطعام وثياب  
 وغير ذلك ، فيعتقد أنه من كرامات الأولياء وإنما يكون مسروقاً .  
 وتارة يحملونه في الهواء فيذهبون به إلى مكان بعيد ، فمنهم من  
 يذهبون به إلى مكة عشية عرفة ويعنون به فيعتقد هذا كرامة ، مع أنه  
 لم يحج حج المسلمين لا أحرم ولا لبى ولا طاف بالبيت ولا بين الصفا  
 والمروة ومعلوم أن هذا من أعظم الضلال إلى غير ذلك كثير  
 وبعد .

فإن سيد قطب رحمه الله قد كتب في الضلال عن الجن وكن من خيرة  
 من كتب ، فقد بين عبادة مشركي العرب للجن وبيان أسطورة الصلة بين  
 الله وبين الجن كما بين كيفية استمتاع الجن بالإيس والإيس بالجن كما بين  
 أن الجن لا تعلم الغيب وتكلم على القرين من الجن ويؤمن حقيقة وجود الجن  
 في الاستعداد للهدى والضلال وإثبات تكاح الجنى للإنسى إلى غير ذلك  
 مما اجتواه هذا السطر القيم ، رحم الله الشهيد سيد قطب وكثر في  
 المسلمين من أمثاله إنه على ما يشاء قدير ، والحمد لله رب العالمين .

١ - و (١٨٤) و (١٨٥) وأبولسيم في ادلائل النبوة ١/ ٢٠  
 (١) النحل ١٠٠ / ٩٩ (٢) العنكبوت ١٢ -

1.  $\text{H}_2\text{O}$  is a polar molecule. The oxygen atom is more electronegative than the hydrogen atoms, so it attracts the shared electrons more strongly. This results in a partial negative charge ( $\delta^-$ ) on the oxygen atom and partial positive charges ( $\delta^+$ ) on the hydrogen atoms. The overall molecule has a net dipole moment.

2. The boiling point of water is  $100^\circ\text{C}$  at standard pressure. This is due to the hydrogen bonding between water molecules. Hydrogen bonds are intermolecular forces that are stronger than van der Waals forces but weaker than covalent bonds. They require more energy to break, which is why water has a higher boiling point than other molecules of similar size.

3. The pH of pure water is 7. This is because water undergoes a self-ionization reaction:  $\text{H}_2\text{O} \rightleftharpoons \text{H}^+ + \text{OH}^-$ . At equilibrium, the concentration of  $\text{H}^+$  ions is equal to the concentration of  $\text{OH}^-$  ions, both at  $1 \times 10^{-7} \text{ M}$ . The pH is defined as  $-\log[\text{H}^+]$ , so  $-\log(1 \times 10^{-7}) = 7$ .

4. The chemical formula for glucose is  $\text{C}_6\text{H}_{12}\text{O}_6$ . It is a simple sugar and a primary energy source for living organisms.

# فهرس الكتاب



الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
نبذة من حياة سيد قطب رحمه الله	٧
حقيقة وجود الجن في التصور الإسلامي	٩
عبادة مشركي العرب للجن	١٠
أسطورة الصلة بين الله وبين الجن	١٢
شياطين الإيس والجن	١٤
استماع الجن بالإيس والإيس بالجن	٢١
إرسال الرسل للجن والإيس	٢٤
دخول كفر الجن والإيس النار	٢٥
للجن قلوب وعيون وأذان	٢٧
الجن جنود من جنود سليمان	٢٩
قوة الذي عنده علم من الكتاب أقوى من قدرة الجن	٣١
الجن تعمل بين يدي سليمان	٣٣
الجن لا تعلم الغيب	٣٥
عبادة الناس للجن	٣٦
القرين من الجن	٣٧
القرين من الإيس	٤٠
كل كافر يلحق بكفرة الجن والإيس في النار	٤١
مقالة النظر من الجن	٤٢
روايات حادثة استماع الجن للقرآن	٤٦
تدبير الله في استماع الجن لرسول الله (ﷺ)	٤٨
مصارعة الجن لإتذار قومهم	٤٩
سورة الجن وإيقاعها الموسيقي	٥١
التصور الإسلامي عن حقيقة الجن	٥٤
ما اشترك به الجن والإيس	٥٧
تكرار حادثة استماع الجن للقرآن	٥٩
موقف الجن من القرآن	٦٣
إيمان الجن بالله	٦٦

٦٧	..... الجن ليس لهم سلطان على من يعتصم بالله
٦٨	..... دعوة الجن لقومهم
٦٩	..... هراصة السماء من استراق الجن السمع
٧٤	..... طبيعة الجن في الاستعداد للهدى والضلال
٧٥	..... ثقة الجن بالله
٧٦	..... تصور الجن لحقيقة الهدى والضلال
٧٧	..... مقالة للجن عن فعل الله مع الذين يستقيمون
٨٠	..... حال الجن حين اجتماعهم على الرسل
٨٨	..... امتنان الله على الجن والإنس بنعمة الإيجاد والإشياء
٩٠	..... تهديد لهم وعيد للجن والإنس
٩١	..... للمجرمون من الجن والإنس معروفون من غير سؤال
٩٣	..... إثبات تكاح الجنس للإنس
٩٤	..... الاستعاذة من وسوسة الجن والناس
٩٧	..... سورة الفلق وسورة الناس حصن حصين
٩٩	..... خاتمة
١٠٧	..... الفهرس